ملحق مشروع

# بناء السلام في لبنان

العدد رقم 11، آذار 2016 Issue nº 11, March 2016

© تفصيل من لوحة للفنان التشكيلي السوري عبد الكريم مجدل البيك بعنوان: ذاكرة الجدار (ذاكرة المارة والناس والزمن)

شعوب متمكنة.
أمم صامدة.

## ملحق خاص

يصدر عن مشروع «بناء السلام في لبنان» التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي بتمويل من الوزارة الاتحادية الألمانية للتعاون الإقتصادي والتنمية من خلال بنك التنمية الألماني (KfW)، ويوزّع مع جريدتي «النهار» و«السفير»، ومع جريدة «The Daily Star» باللغة الإنكليزية، ومع جريدة «L'Orient Le Jour» باللغة الفرنسية.

يجمع الملحق عدداً من الكتّاب والصحافيين والإعلاميين والباحثين والفنانين اللبنانيين والسوريين، ويعالج انعكاسات الأزمة السورية على لبنان والعلاقات بين اللبنانيين والسوريين، في مقاربات موضوعية بعيداً عن خطاب الكراهية.

03 العودة إلى سورية ذروة أحلام اللاجئين... لكن ماذا عن الأمان؟

04 حكايات سورية: لجوء آخر!

04 بيروت ورحلة بيع الخواتم

05 أنا الغريب

06 التغطية الاعلامية للنازحين السوريين في الاعلام اللبناني

07 النازحون السوريون في عيون الإعلام

10 يوميّات البؤس السوري

12 وداعاً بيروت: حرب سوريا من خلال الزجاج

13 الدرويش والراس يوقّعان «أرض السمك»...

14 فنانو دمشق وجدوا في بيروت ملاذاً ومنطلقاً...

15 تجربتي كفنانة سورية في لبنان

08 - 09 لاجئون ومواطنون توحّدهم مأساة سبقت الحرب
الأطفال المعوقون في بيئة لا تحترم حاجاتهم

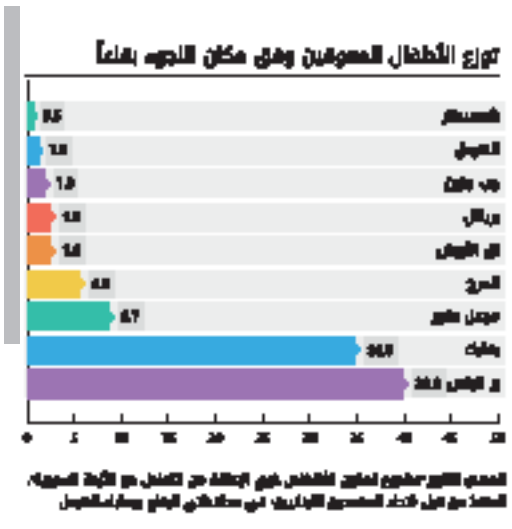

## دعم الاستقرار في لبنان

طوال الأزمة السورية، لم يغضّ العالم بصره عن حوالي خمسة ملايين لاجئ ونازح سوري، بحسب مفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين. وفي ضوء التحديات الهائلة التي تواجهها الدول المضيفة الرئيسية الثلاثة، أي لبنان والأردن وتركيا، اشتركت ألمانيا في استضافة مؤتمر لندن، بين 4 و6 شباط من العام الحالي، الذي جمع رؤساء الدول والحكومات في تأكيدهم على التزامهم تجاه اللاجئين السوريين.

وقد مهّد هذا المؤتمر الطريق لنهج جديد واعد من شأنه أن يسمح برؤية الأزمة من زاوية جديدة، للاجئين والمجتمعات المحلية المضيفة على حدّ سواء. من جهتها، لا تزال ألمانيا ملتزمة دعم استقرار لبنان كما في السنوات الماضية؛ وقد جددت وعدها اليوم بدعمه على مستويات عدّة. سوف نعمل مع الحكومة اللبنانية والكثير من الشركاء الآخرين على تعزيز النمو الاقتصادي والمساعدة في خلق فرص عمل جديدة وضمان حصول اللاجئين كافة على التعليم اللائق بحلول عام 2017. إننا نسعى إلى تحقيق هذه الأهداف من خلال نهج استراتيجي ومتكامل يدعم كل من اللاجئين والمجتمعات اللبنانية المضيفة الذين يواجهون ظروفاً معيشية صعبة.

مع إقراري بقوة وسائل الإعلام في دعم تحقيق النتائج الإيجابية كتلك التي تمّ تحديدها في مؤتمر لندن، أتمنى أن يساهم دعم مبادرة مثل هذا الملحق في تسليط الضوء على النجاحات وقصص الأمل التي بإمكانها نزع فتيل التوترات. وعلى القدر نفسه من الأهمية، إنني متفائل بأن مثل هذا المنبر من شأنه أن يفضي إلى تغطية للأهداف أكثر شمولية وتوازناً، الأمر المنشود للغاية في أوقات الأزمات الشبيهة بالتي نواجهها اليوم.

**السفير مارتن هوث**

القائم بأعمال السفارة الألمانية في بيروت

## برنامج الأمم المتحدة الإنمائي يحتفل بخمسين عاماً من الخدمة

تستمر تداعيات الأزمة السورية، مع دخولها عامها السادس، بالامتداد إلى أبعد من مجرد البلدان المجاورة لها. وتمثّلت إحدى الاستجابات الحديثة لآثار النزاع في اجتماع رؤساء الدول وكبار الشخصيات، والذي انعقد، دعماً للاجئين السوريين والدول المضيفة، في لندن بين 4 و6 شباط من العام الجاري. وقد وضع المؤتمر أهدافاً طموحة ترمي إلى تحويل الأزمة المستمرة إلى فرصة لتحسين مستقبل اللاجئين والدول المضيفة على حدٍ سواء. ولبنان هو أحد الدول المضيفة التي دعمت اللاجئين، بكثير من السخاء. فقد تقاسمت مجتمعاته المضيفة اقتصادها ومدارسها وعياداتها ومياهها وخدماتها الأساسية التي توفّرها السلطات المركزية والمحلية. إلا أنه، وبعد ست سنوات، تركت الأزمة آثاراً فادحة على هذه المجتمعات المحلية، مهدّدةً بقاءها كما والسلم الأهلي في لبنان. وقد جاء انعقاد مؤتمر لندن في الوقت المناسب لإعادة الأمل لكلّ من اللاجئين ومجتمعاتهم المضيفة. كما أن نتائج المؤتمر تعِدُ بتعزيز الاقتصاد الواهن وكبح معدلات البطالة وترميم البنية التحتية للبلاد، مع الحفاظ، في الوقت نفسه، على كرامة اللاجئين وتلبية احتياجاتهم الإنسانية الأساسية.

يتصدّر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي اليوم عمليات دعم المجتمعات المحلية المضيفة في لبنان وهو مجنّد بشكل كامل لتحقيق الأهداف التي تم تحديدها في مؤتمر لندن، وبخاصة في مجالات خلق فرص العمل وتأمين الخدمات الأساسية وتعزيز السلام. وهذا العام، يتزامن هدف برنامج الأمم الإنمائي الحازم لدعم لبنان مع عيده الخمسين. والبرنامج مصمِّمٌ، أكثر من أي وقت مضى، على أن يكون استباقياً في التصدي لتحديات لبنان الإنمائية وتضييق نطاق التفاوتات الإقليمية التي تقوّض استقراره الاجتماعي ووضع حدّ للتدهور البيئي فيه وتقديم المزيد من الدعم لمؤسساته الحكومية. سوف يسعى برنامج الأمم المتحدة الإنمائي جاهداً لتحقيق هذه الأهداف في وقتٍ أصبح عدم الاستقرار فيه هو القاعدة الجديدة.

وبمناسبة بلوغ برنامج الأمم المتحدة الإنمائي عامه الـ 50، يتم الاحتفال أيضاً بالعلاقة طويلة الأمد بين البرنامج ولبنان. وتماماً كما كانت الحال خلال سنوات الحرب، ثمة التزامٌ اليوم، أقوى من أيّ وقت مضى، بالوقوف إلى جانب لبنان لمساعدته على مواجهة التحديات الكثيرة الحالية كما ولدعمه في تحقيق أهداف التنمية المستدامة الجديدة، رغم كل الصعاب. ويسعى برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، كمناصرٍ لهذه الأهداف الجديدة، إلى استخدام هذا الملحق الثمين كأداة للتغيير ولتعزيز النهج السلمية والخالية من العنف والمناهضة للتمييز في العمل مع المجتمعات المحلية. وضمن إطار العمل هذا، تتم مناقشة مواضيع متعلقة بالمجتمعات المحلية المضيفة واللاجئين كما يتم إيلاء اهتمام خاص لأبعادها القانونية والثقافية والاقتصادية والإبداعية.

نحن كلنا ثقة بأن المبادرات على مثال هذا الملحق بإمكانها المساهمة في تعزيز العلاقات مع النازحين السوريين، أملاً في أن يتمكنوا يوماً ما من العودة إلى وطنهم، بأمان، ومن تذكّر البلد الذي وجدوا فيه يوماً ما ملجأ، بإيجابية.

**لوكا ريندا**

مدير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في لبنان

## ليقتدِ العالم بالبابا فرنسيس

في أيلول الماضي، دعا البابا فرنسيس مطارنة أوروبا لاستقبال اللاجئين، وقال انه يجب على «كل أسقفيّة وجماعة دينية ودير وملجأ في اوروبا أن تؤوي أسرة واحدة»، مضيفاً أنه سيبدأ مع ابرشيته في روما، وان رعيتَيْ الفاتيكان ستستقبلان خلال الأيام المقبلة عائلتين لاجئتين.

ويدعو البابا بدون توقف منذ بدء ولايته، إلى أن يحظى المهاجرون الذين يهربون من بلادهم بسبب البؤس والحرب والاضطهاد الديني أو السياسي، باستقبال جيد، ومنحهم فرصة ثانية في الدولة المضيفة، ويشكل هذا الموضوع نقطة أساسية في حبريته.

لكن البابا يؤكد، في المقابل، وجوب معالجة أسباب الهجرة في دول المنشأ، ويطالب المهاجرين بالاندماج بشكل يحترم قوانين الدولة المضيفة. وإذا كان البابا دعا الكنيسة الكاثوليكيّة في العالم، وعبرها كل الكنائس المسيحيّة، الى التزام تعاليم الانجيل في التعامل مع اللاجئين في كل انحاء العالم، والقيام بأعمال رحمة تجاههم، فإنه لم يكف عن دعوة الدول الاوروبية المنقسمة إزاء تدفق المهاجرين الى ايجاد «رد اجماعي»، و«توزيع منصف للأعباء» في ما بينها.

والواقع أن البابا يوجّه اتهاماً ضمنياً الى المجتمع الدولي بالتسبّب في هذا التهجير الجماعي، اذ لم يعمل على توزيع عادل للثروات، ولم يجهد لتوفير فرص شبه متكافئة بين الدول والشعوب، فلجأ الأكثر فقراً، والأقل حظاً، والأشد اضطهاداً، وضحايا الحروب، وخصوصاً حروب الآخرين، الى البلدان الأكثر اماناً، وتلك التي توفر فرصاً مستقبلية واسعة، فاتجهوا الى الولايات المتحدة الأميركية، واكثر إلى أوروبا الأقرب إلى عالمنا العربي، وذاك الاسلامي، اللذين لا يوفران، الاّ في ما ندر، حقوقاً انسانية قبل الفرص المتكافئة للناس.

حان الوقت لأن يبادر المجتمع الدولي إلى البحث عن حلول جدّية ودائمة بدل رمي فتات الخبز للاجئين، وتنظيم مؤتمرات يصرف فيها المال الوفير لدراسة الأسباب وتوقع النتائج واصدارها في توصيات غالباً ما تحفظ في الأرشيف.

**غسان حجار**

مدير تحرير صحيفة «النهار»

## سؤالان

كنتيجةٍ منطقية للعاصفة التي تسبَّب بها قرار أنغيلا ميركل بفتح أبواب استقبال ما يقارب المليون لاجئ سوري في ألمانيا على مصراعيها، غدت الحدود الخارجية لأوروبا مهزوزة من الجهات كافة بسبب تدفّق عشرات آلاف المهاجرين البائسين، المحتاجين، المتهافتين، والمخاطرين بحياتهم، نحو هذه البلاد الساحرة التي لطالما سمعوا التمجيد بها في ما يختص بالحقوق والحريات.

ولكن ما نفع الحقوق والحريات إذا كانت الرفاهية الاقتصادية والمالية لا تستتبعها؟ فأوروبا ليست أميركا، وهي لم تعد، منذ زمن بعيد، تملك النزعة لأن تكون أرضاً للهجرة، لأن الأزمة والبطالة قد مدَّتا أذرعهما، وليس البحث عن مستقبل أفضل هو ما يدفع اللاجئين إلى طَرق أبواب القارة العجوز، بل هي غريزة البقاء. هذا النوع من ردود الفعل اللّاإرادية، والتي تدفع الرجال والنساء والأطفال إلى الإرتماء بين أذرع المهربين المحتالين وعديمي الضمير، وإلى مواجهة البحار الهائجة، وإلى إيجاد أنفسهم، عند خروجهم سالمين، «مزروبين» في حظيرة مخيمات، هي مؤقتة بحسب المواقف الرسمية، إنما من المتوقع استمرارها عملياً.

أوروبا اليوم مرهقة، وعليها استجداء بعض الرقة من قبل تركيا لكي توافق على احتواء تدفق المهاجرين إلى أرضها. هي دعوة غريبة إلى الكرم مقابل نقود معدنية وراجحة: 3 مليارات يورو عند الطلب الأول، تليها على الأرجح 3 ملايين أخرى، على أمل أن تكتفي أنقرة بذلك...

وأمام هذه النتيجة غير البراقة، يتبادر سؤالان إلى الذهن:

كيف يمكن ألّا يكون أيٌّ من البلدان العربية الميسورة قد عرض تأمين ولو حصة هزيلة من المهاجرين، عوضاً عن ترك لبنان والأردن، المغبونَين أصلًا، يحملان بمفردهما حملاً بهذا الثقل؟

لماذا تستمر أوروبا، والغرب بصورة أكثر عمومية، في التنافس على اندفاعات السخاء حيال اللاجئين، وعلى العكس من ذلك، إظهار هذا القدر من التسامح في فرض حل في سوريا؟

**غابي نصر**

مدير تحرير الملاحق الخاصة

صحيفة «لوريان لوجور» (L'Orient-Le Jour)

## عالم يستحق الشفقة

تتعمق مأساة النزوح السوري. آلام لا تصدَّق. بؤس جاف. أفق مقفل. الكلام على النزوح فاقد لمبدأ الأخوة الإنسانية. العالم يلجأ إلى الأرقام. يحسب الناس أعداداً. يتعامل مع الضعف والإنهاك والتشرد بنشر الحدود وتحصينها. يمنع «اعتداءات» المعذبين والمشردين على «الأراضي الوطنية» التي تخص دولاً تحتفل بنصوص «حقوق الإنسان»، بلا رغبة في احترامها.

فشل العالم في إيجاد حل إنساني دائم للمهجرين. لم يخرج أحد منهم إلى العراء الإنساني بإرادته. أخرجته حرب لا يريدها. مرت هذه الكأس على شعوب كثيرة. الحروب سنة التوحش البشري. السلام فرصة قصيرة النفس. ومع ذلك، تحشد الدول طاقاتها من أجل حرب تخوضها أو حرب ترد بها اعتداءً. لم تجهد أي دولة أو مؤسسة دولية، لبناء سلام عادل وغير انتقائي، ولاحتضان ضحايا العنف المسلَّح والمجاعات والظلم وانعدام الأفق.

أليس تكوين الدول فظيعاً؟ ليس في بنية الدولة مؤسسة ترعى السلام. كل الحكومات تحظى بوزارة حرب أو دفاع. لا وجود لوزارة سلام. وعليه، العالم يحارب ويتحارب. والسلم تحرسه الحراب، ومن أجل الحفاظ على السلام، لا بد من شن حروب. أليس ذلك فظيعاً؟

بين حرب وحرب، أو بين سلام وسلام، تفقد الإنسانية نسبة كبيرة من أخلاقها. تعيش بضمير يتعكز على الأسباب الموضوعية. تبرر وتيرة زيادة التسلح، تقيم اقتصاداً معولماً بقوة السلعة، والحرب سلعة رائجة ومربحة.

قيل، الويل للضعفاء. انهم يدفعون ثمن حروب الأقوياء. والإنسان، الذي لا يملك في هذه الدنيا غير مقتنياته وأحلامه، يفقدهما تباعاً. يهرب ويسافر على قدميه ويعرج على قلبه. يذهب ولا يصل. وينظر إليه كغريب. يستقبل في خيام، حوله يتعسكر بوليس، ويعيش على الإحسان الدولي، فيما هو يمضغ بؤسه وألمه ويواسي جراحه بالصبر.

مسكين هذا العالم. انه يستحق الشفقة.

**نصري الصايغ**

نائب رئيس التحرير في صحيفة «السفير»

## فهم أثر الأزمة على لبنان

الأزمة أمر نسبي، وبحسب ظروف الأشخاص الذين تصيبهم وقدراتهم، يمكن أن تتراوح التحديات من ازعاج صغير إلى كارثة مدمّرة مع عواقب وخيمة.

وأزمة اللجوء السوري تقع ضمن التحديات التي سيضعِف تأثيرها لبنان، بلا شك، في حال تركت من دون حلّ، وذلك لأسباب عدّة.

وبالتأكيد فإن بنية لبنان التحتية المتهالكة أصلًا تتحمل عبء تدفق اللاجئين؛ ويساوي الـ 1,1 مليون لاجئ سوري المسجلون، وما لا يقل عن 400,000 شخص آخرين، اليوم أكثر من ثلث سكان البلاد اللبنانيين الذين يبلغون حوالى 4 ملايين نسمة. هذا الأمر يفرض ضرائب ثقيلة على موارد لبنان الشحيحة، والتي حتى قبل وصول اللاجئين، كانت تكافح نتيجة إمدادات الكهرباء والمياه غير الكافية.

ولكي نستوعب حقيقة تأثير الأزمة على هذا البلد الشرق أوسطي الصغير، ونضع الأمور في نصابها، يجب أن نتذكر أنه في حين يتصارع كل من الأردن وتركيا مع مسألة اللجوء، فإن الأول أكبر من لبنان بحوالي ثمان مرات فيما الثاني أكبر منه بـ 24 مرة.

في الواقع، إن وصول لاجئين إلى أوروبا يساوون في العدد أولئك الموجودين في لبنان قد قلب القارة بأكملها رأساً على عقب، مسبّباً التوترات بين الدول الأعضاء، وحتى معرّضاً للخطر سياسة «الشنغن» العزيزة على قلوبها. وتجدر الإشارة إلى أن عدد سكان هذه القارة يبلغ نحو ثلاثة أرباع مليار نسمة مع بنية تحتية متماثلة.

أيضاً، وبخلاف الأردن وتركيا، اللذين يتمتعان بتركيبة سكانية موحّدة نسبياً، فإن التوازن الطائفي اللبناني الهشّ، والذي عمل البلد جاهدًا للحفاظ عليه من أجل صون استقراره، هو عرضة للخطر. أضف إلى ذلك أن الأزمة السورية قد عاثت فسادًا في المشهد السياسي اللبناني، مما سبب تسريع حالات أكبر من الاختلاف في البلد، وأدى إلى تفاقم التوترات بين المعسكريْن المتنافسيْن كما بين مؤيديهما.

من المؤكد أن لبنان في حاجة ماسة إلى المساعدات النقدية للاعتناء باللاجئين الذي يستضيفهم بسخاء؛ إلا أن هذا لا يتخطى كونه إجراءً مؤقتًا. ولتقديم المساعدة فعلًا، على أوروبا التوصل إلى حلٍ دائم للأزمة في سوريا، حلٌ يسمح لهذه النفوس المهجرة بالعودة إلى ديارها سالمة.

**نديم اللادقي**

رئيس تحرير صحيفة «الدايلي ستار» (The Daily Star)

حقوق الطبع © 2016 . جميع الحقوق محفوظة لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP) - مشروع «بناء السلام في لبنان».
إن المقالات والتحقيقات والمقابلات وغيرها مما ورد في هذا الملحق لا تعبّر بالضرورة عن آراء برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ولا تعكس وجهة نظر البرنامج. ويتحمّل كتّاب المقالات وحدهم المسؤولية عما ورد فيها.

إقامة

# العودة إلى سورية ذروة أحلام اللاجئين... لكن ماذا عن الأمان؟

## الكفالة شرط تعجيزي.. شروطها صعبة على الفقراء ومزعجة للميسورين

**سناء الجاك***

إختُتم العام 2015 بموقف لبناني «ديبلوماسي» يحذّر من توطين اللاجئين السوريين في لبنان. لكن العالمين بأمور الدستور يعتبرون أن كلمة «التوطين» بحد ذاتها خاوية من أي مفعول على أرض الواقع اللبناني. فالتوطين ممنوع في الدستور بموجب الفقرة «ط» من مقدمته التي تنص على أن «أرض لبنان واحدة لكل اللبنانيين... فلا فرز للشعب على أساس أي انتماء كان، ولا تجزئة ولا تقسيم ولا توطين».

كان العام 2015 قد افتتح بشروط جديدة على اللاجئين حملّتهم أعباءً من الناحيتين المادية والمعنوية. فرسم تجديد الاقامة على فرد تجاوز عمره الـ15 سنة تبلغ قيمته 200 دولار، من دون إغفال رسوم المعاملات الرسمية التي تتطلبها بيروقراطية الإدارة اللبنانية لتجديد الإقامة، والتي تبلغ تكلفتها هي الأخرى نحو 75 دولاراً.

وبين أول العام الماضي وآخره استمرت مأساة هذا اللجوء المستجد، وفي حين لا يمكن تجاهل أصوات رزينة تضع نقاط الأزمة الناجمة عنه على حروف المصلحة اللبنانية الاجتماعية والاقتصادية، كذلك لا يمكن تجاهل تفاقم معاناة هؤلاء اللاجئين كلما طالت الحرب في وطنهم.

ولكن أين الصوت السوري حيال ما يتردد عن التوطين والعمل وعدم العودة؟ وكيف هي ظروف السوريين المقيمين في لبنان حالياً بسبب تردّي الأوضاع في بلادهم؟

يقول عبد السلام، وهو لاجئ سوري يقيم في مستودع مبنى تجاري قيد الانشاء في منطقة «الجناح» من ضاحية بيروت الجنوبية، إن مشكلة الكفيل هي الأصعب في واقعه المرير.

ويضيف: «لذا رتّبنا أمورنا، فاتفقنا على جمع المال من بعضنا البعض لنقدمه إلى الأكثر قدرة على عمل ثابت ليؤمّن كفيلاً ويدفع تكاليف الإقامة، أما العاجزون عن ذلك، إضافة إلى النساء، فتبقى أوضاعهم غير شرعية».

بالطبع يريد عبد السلام العودة إلى بلده من لا يشتهي ذلك؟ يقول، ويضيف: «المدرسة والطبابة مجانيتان هناك. أما هنا فأنا أقيم مع زوجتي وأولادي الخمسة وإبن شقيقي في غرفة مساحتها 30 متراً مربعاً، وإيجارها مئة دولار شهرياً. نستغني عن الكهرباء المقطوعة غالب الأحيان، إلّا أننا نشتري مياه الشرب».

ولدى سؤاله: «لماذا لم تنزح إلى الداخل السوري عوضاً عن هذه المعاناة؟»، أجاب: «حاولنا ذلك وتنقّلنا داخل سورية، لكن بقي الخطر يلاحقنا. هنا نشعر بالأمان».

هذه الحال تنطبق على غالبية السوريين من الفقراء والعمال الموسميين، فالأمان هو همهم الأول، ومن ثم تأمينهم مدخولاً يقيهم الحاجة، لذا يقبلون بمرارة اللجوء. ويمكن معرفة معاناتهم فقط بمراقبتهم في أحد مراكز الأمن العام، حيث يقفون في طوابير وأحياناً لساعات طويلة، ثم يعودون أدراجهم خائبين، ليعاودوا الوقوف في اليوم التالي حتى يتمكنوا من إنهاء معاملاتهم.

ويعتبر الوصول إلى طوابير الأمن العام خطوة متقدمة قياساً إلى صعوبة العثور على كفيل. ذلك أن منذر الذي ضمن مدخولاً من خلال عمله ناطوراً في إحدى ضواحي بيروت الشرقية منذ تسع سنوات، لم يجد من يكفله. وهو لا يستوعب لماذا فرض عليه هذا الإجراء فقد كان يدخل ويخرج من لبنان إلى سورية من دون قيود، لكن الوضع الحالي أربكه، لذا تعتبر إقامته غير شرعية، ومنذ صدور هذا القانون وهو في شبه إقامة قسرية، لا يتحرك خارج مكان عمله.

مرة أوقفه حاجز أمني، فقال إن أوراقه قيد التجديد، و«مشي الحال». لكن «لا تسلم الجرّة كل مرة».

منذر لا يستطيع أن يفكر بأي إمكانية لمغادرة لبنان والعودة إلى سورية في الوقت الراهن. يقول: «يجب أن أبقى هنا. أين أذهب؟ لديّ ثلاثة أولاد، ابنتان تذهبان إلى مدرسة رسمية، وصبي صغير لم يحن دوره بعد. يعتقد أن السلام لن يحل في سورية لذا أرسل قبل عام بطلب عائلته لتقيم معه».

لدى منذر بيت في قريته السورية لم يره منذ نحو أربع سنوات. ولا يعرف إن كان لا يزال قائماً أم أضحى ركاماً. يشده الأمان إلى لبنان، وإن كان محكوماً عليه بعدم التجول. وشقيقته تقيم في طرابلس ولا يستطيع زيارتها وهو بالطبع لا يفكر بالهجرة أبداً. من هنا إلى سورية ومن سورية الى لبنان. تلك هي خريطة حياته.

ولا تقتصر صعوبة اللجوء على الفقراء، حتى عندما يتغير تصنيفها الى إقامة، كما تقول سيدة سورية تقيم في بيروت لتحمي ابنها من التجنيد الإلزامي، مشيرة إلى أن ابنتها تتابع دراسة الطب في الجامعة الأميركية.

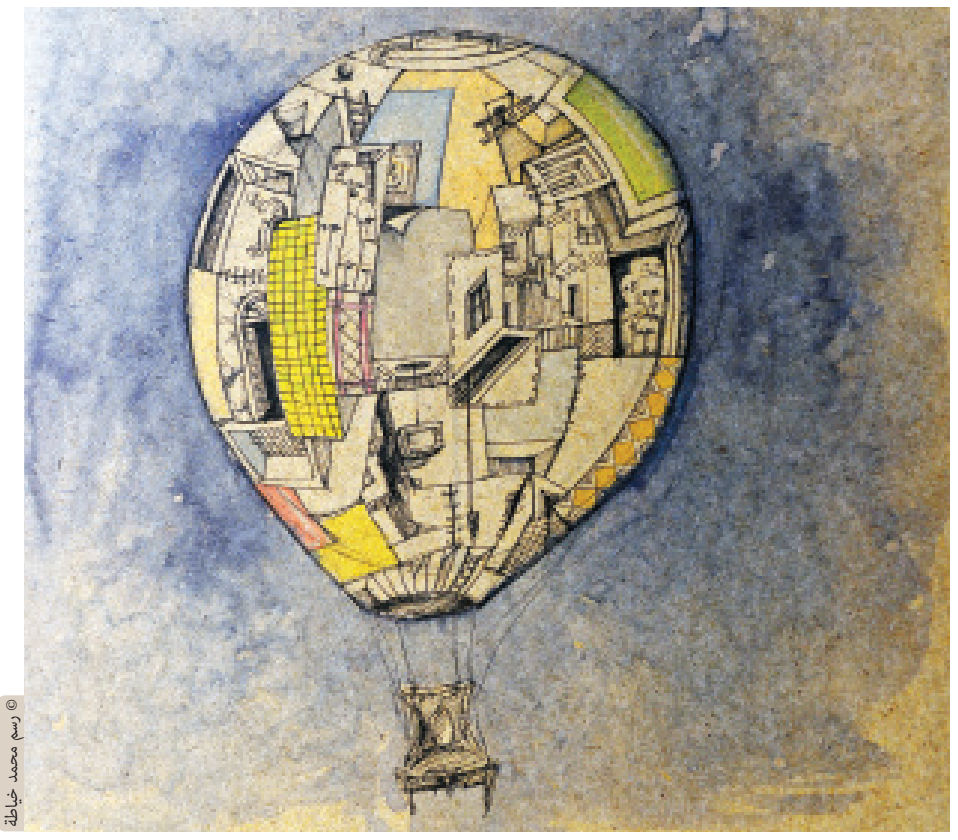

© رسم محمد خباطة

السيدة التي تفضّل التحفظ عن اسمها، تعتبر أن الهمّ الأكبر هو الغلاء. وهو همّ يوحّد اللبنانيين والسوريين الذين اضطروا إلى مغادرة بلادهم. فهي تدفع فاتورة الكهرباء مرتين وفاتورة الماء مرتين، إضافة إلى إيجار المنزل الذين يبلغ 1100 دولار أميركي شهرياً. لتضيف: «رغم كل ما يدور عندنا تبقى الأسعار في دمشق أرخص. والأصعب أن ايراداتنا بالليرة السورية ومدفوعاتنا في لبنان بالدولار الأميركي».

وضعها، كما تشير المعلومات المتعلقة بها، يدل على أنها ميسورة، أو هي من الطبقة الوسطى المرتاحة نسبياً، وإن كانت لا تعلن ذلك صراحة، إلا أن خوفها من اقتياد ابنها إلى الخدمة العسكرية يشكل السبب الأهم في هذا النزوح القسري، فهي تفكر بالعودة الى منزلها الدمشقي عندما تسدد بدل الإعفاء بعد سنة ونصف السنة كما تشير، وقيمته 800 دولار أميركي.

وتوضح أن ابنها لا يريد البقاء في لبنان أو الهجرة كما يفعل غيره من الشباب السوري، لذا رفض فرصة للسفر إلى ألمانيا. تضيف أنه يعمل حالياً على حسابه، فيتلقى طلبات بتنفيذ بعض الأعمال، ويقبض مقابلها ما لا يكفي لتسديد نصف تكاليف الحياة في لبنان.

ولا تستبعد أن تعود وابنها إلى دمشق عندما تنتهي مسألة خدمته العسكرية، في حين تقيم ابنتها في السكن الجامعي للطالبات، وتضيف: «أحوال دمشق أفضل من السابق، وكثير من الناس عادوا إليها من لبنان ومصر وتركيا».

العودة إذاً في رأس اولويات هذه السيدة، التي تحلم بالخلاص من كابوس انهيار كل أمانها الاجتماعي والاقتصادي. وفي حين تشكر الله على أنها لم تواجه مواقف محرجة خلال إقامتها اللبنانية، إلا أنها لا تنكر الانزعاج من الإجراءات الرسمية التي تفرض قيوداً جديدة على هذه الإقامة. وتوضح أن لبنانياً من أصدقاء العائلة يكفلها وابنها، في حين أن الجامعة تكفل ابنتها.

وتشير إلى أن مشكلة الأمن العام هو غياب التنظيم، فالسوريون يتدافعون في المراكز المخصصة لإجراءاتها مثل القطيع. ويشعرون بشيء من الذل. أحد هؤلاء، ولدى استفساره من أحد عناصر الأمن العام عن أوراقه مرات عديدة، تلقى صفعة منه. هذا الأمر رهيب.

وسوريو الطبقة الوسطى لا يعترضون على الإجراءات الرسمية اللبنانية، لكن العلّة في التطبيق كما يقول جورج الحلبي والبالغ من العمر 70 عاماً، ليضيف أنه يملك شقة في منطقة المنصورية (جبل لبنان) ويقيم فيها منذ أكثر من 20 عاماً، ابنته متزوجة من لبناني، لكن الفوضى في تطبيق الاجراءات وضعته في مواقف صعبة ومهينة أحياناً. ولم تصطلح الأمور إلّا بعدما كفله صهره لاستصدار إقامة تُجدّد سنوياً.

إحدى السيدات التي تملك إقامة لمدة عشر سنوات في فرنسا، قالت إنها تستطيع دخول لبنان لمدة شهر، لتغادر بعدها، بالتالي هي أيضاً احتاجت إلى زوج ابنتها ليكفلها حتى تنتقل بسهولة بين بيروت ودمشق، لكنها لا تفكر مطلقاً بالاستقرار في لبنان. ويؤلمها مشهد النازحين على الحدود. وتقول إن عليهم جميعاً العودة والاقامة في مناطق سورية آمنة، لأن ذل النزوح أصعب من الحرب.

أما عمر، الذي يعمل أيضاً ناطوراً في بيروت، فهو لا يحلم إلّا بالهجرة. يقول: «لم أتصور يوماً أن تنقلب حالي بهذا الشكل. لم يرض أحد من سكان المبنى الذي أعمل فيه منذ عشر سنوات، بأن يكون كفيلي. تعاملوا معي كأنني أحمل مرضاً معدياً، حتى أنقذني صديق ربما هو أشد فقراً مني. وقد ذهبنا أكثر من أربع مرات إلى الأمن العام، وانتظرنا ساعات لإنجاز معاملة الكفالة، في حين أن من يملك وساطة كان يدخل ويخرج بدقائق».

عمر لا يريد العودة إلى قريته في سورية. ويقول: «لا مستقبل لأولادي هناك لكنه أيضاً لا يريد البقاء في لبنان»، وهو ينتظر ترتيب أوضاعه ليهاجر إلى بلد يعترف بحقوق الانسان، ولا يذل من كان في الأصل منكوباً، كما يقول بغضب.

* كاتبة وصحافية لبنانية

إنعكاسات

# حكايات سورية: لجوء آخر!

محمد شبارو*

على طاولة مستديرة في أحد مقاهي العاصمة بيروت تجتمع ثلة من «النخبة» السورية، دورياً. اعتادوا على الموعد، كما المكان، بوصفه فسحة «نوستالجيا» تشاركية، بعيداً عن واقع اللجوء إلى لبنان، والمعاناة. يتذكرون بعضاً من سوريا، وكثيراً من الحميمية، ويسرحون في خيالهم بين الشوارع والأزقة والمدن.

عند الساعة العاشرة من كل يوم سبت تجتمع «الثلة». تتغير الوجوه. يضاف إليها، وينسحب منها. على مر الأعوام الخمسة الأخيرة كثر ممّن جلسوا على هذه الطاولة، في هذا المقهى، غادروا، وقلة بقيت في لبنان، فقط لقربه من الأراضي السورية، أو انتظاراً على أمل المغادرة. ما يجمعهم، وهم القادمون من مدن سورية مختلفة، ليس المعاناة، يعترفون بأنهم في لبنان يعيشون حياة جيدة إقتصادياً.

© أنور عمرو

في الجلسة الأخيرة التي تختلط فيها المواضيع بين السياسية، والإرهاب، بين النظام و«داعش» والمعارضة، كان حديث مطوّل عن لبنان، وعن اللجوء إليه، وعن معاناة السوري في الخيم، وعلى الحدود، وعلى نقاط العبور. ثمة شعور واضح لدى كل من لجأ إلى لبنان، حتى وإن كان من «النخبة» – مع التحفظ الشخصي على التعبير - التي تتمتع بحد أدنى من القدرة الإقتصادية على الإكتفاء، بأن لبنان فشل في التعاطي مع الأزمة السورية، واستغلالها إيجاباً لمصلحته.

على هذه الطاولة، ثمة وجه آخر لانعكاسات الأزمة السورية على لبنان. لا يبدو المشهد شبيهاً بالمعاناة السورية، لا خيم هنا، ولا طوابير تنتظر بعضاً من مساعدات.. تأتي أحياناً، وتنقطع أحياناً، بانتظار أموال الدول والجهات المانحة.

من بين «الثلة» الحاضرة، مصمّمة مجوهرات. مع بداية دخول العامل العسكري والحربي إلى مدينة حلب، قررت باكراً تصفية أعمالها في المدينة، خصوصاً أنها كانت أسيرة الخوف من أي أعمال نهب قد تحصل. بسرعة جمعت كل ما تملك. توجهت إلى الحدود الفاصلة بين سوريا وتركيا. وعبر إحدى النقاط الحدودية تمكنت من الدخول إلى الأراضي التركية، بعد معاناة طويلة لتسوية أوضاع نقل ممتلكاتها. تسرد القرار الذي اتخذته. ليست المرة الأولى التي تقدم فيها روايتها على هذه الطاولة. تستمهل الحاضرين. تعتذر عن التكرار. وتكمل روايتها: خلال أسابيع قليلة قررت الانتقال إلى بيروت جواً، ومزاولة أعمالها من جديد. خيار بيروت بالنسبة إليها، كان مرتبطاً بالقدرة على إكمال ما بدأته في حلب في مدينة عربية أخرى، ومرتبطاً أيضاً بشؤون عائلية خاصة. تكرارها هذا كان للقول للحاضرين أن حضورها في لبنان أضاف إلى هذا البلد. هي تعترف بأن الأزمة السورية ألقت بثقلها على لبنان، لكن في المقابل ثمة بعض الإيجابية. وتشير انطلاقاً من حديثها الشخصي عن حالتها، إلى عشرات الحالات المشابهة، من رجال أعمال، وتجار، ومستثمرين، انتقلوا إلى لبنان.

على الطاولة ذاتها، سينمائي سوري، في بداياته المهنية. قرار التوجه الى بيروت بالنسبة إليه، كان محسوماً. توقّع مع بداية الأزمة السورية أن تتحول العاصمة اللبنانية إلى ملجأ فني وثقافي للسوريين. توقعاته أصابت. وحصلت، وفق ما يقول، قفزة كبيرة على صعيد الدراما اللبنانية تحديداً، بسبب الأعمال المشتركة، وبسبب الخبرات السورية التي وجدت في بيروت مساحة يمكن مزاولة النجاحات السورية فيها. يعود بالذاكرة إلى سوريا، أيام الدراسة، يقارن بين مساحة الحرية الممنوحة في لبنان ثقافياً وتلك التي في سوريا. وحدها المجالات التي تخضع للقطاع الخاص، مثل القطاع الذي يعمل فيه، نجح في تحقيق ايجابيات على صعيد التعاون اللبناني–السوري. تتنوع النقاشات. تختلط بين العوامل الإقتصادية، والثقافية، التي يقولون إن لبنان فشل عبرها في تحويل انعكاسات الأزمة السورية، إلى عامل إيجابي، بدل إبقائه في خانة السلبية. يتشعب الحديث. يستلم الدفة من هم على تماس مباشر مع معاناة الغالبية السورية الموجودة في لبنان. اثنان من الحاضرين يعملان في حقل الإغاثة. بين بيروت والأراضي التركية يتنقلان دورياً. متطلبات العمل فرضت عليهما الحضور في لبنان. يشيران بإسهاب إلى انعكاسات إيجابية على لبنان في هذا الحقل تحديداً، بعدما تحول البلد الصغير إلى مركز ووجهة لعدد كبير من المؤسسات والجمعيات الدولية التي تعنى بهذا الشأن. يعتذران قبل فضّ الجلسة. يغادران صوب البقاع لإتمام عملهما، ونقل بعض المساعدات التي وصلت للتو عبر إحدى المؤسسات الدولية.

حتى سياسياً، وعلى الرغم من أن الحاضرين يحاولون دوماً عدم الخوض في هذه التفاصيل، إلا أن لبنان بالنسبة إليهم فشل في استغلال الأزمة السورية لمصلحته. السياسة بالنسبة إليهم بعد كل ما حصل في سوريا، أضحت كابوساً يؤرقهم. حالة من شبه الإستسلام للواقع السوري تسود أحاديثهم، وغالباً ما يرسمون صورة قاتمة حول مستقبل بلدهم، وسط انعدام الأمل. يشير أحد الحاضرين (يعمل في حقل الدراسات) إلى أن الواقع السوري أصبح حقيقة، فيما لبنان لا يزال قادراً على المبادرة، إن توفرت الإرادة.

يقفل سريعاً الحديث. لا مجال على هذه الطاولة سوى لفسحة من الأمل. غالباً ما يحاولون إبقاء الإيجابية حاضرة. تنتهي الجلسة. يهم من تحلق خلف الطاولة بالمغادرة. يفاجئهم أحد الأصدقاء، الذي أقام في بيروت لمدة ثلاثة أعوام، عاملاً في مجال التجارة، بخبر مغادرته نهائياً الأسبوع المقبل. الوجهة: فرنسا. والغاية: غد أفضل. بعض من الحميمية، والعناق، والقبل، واتفاق على أن تكون الجلسة المقبلة، جلسة وداعية..

* كاتب وصحافي لبناني

ذاكرة

# بيروت ورحلة بيع الخواتم

محمد حاج حسين*

كلنا، بعموم أفكارنا، نُشكل كياناً من الأفكار المعدّة مسبقاً، والمبنية على ما تلتقطهُ الحواس، صورة «بيروت» في ذاكرة كل السوريين الذين امتلكوا الوقت لسماع ومطالعة فن لبنان، يرسمون خيالاً يكاد يصبح يقيناً، بأن «بيروت» تحديداً، هي الطريق لرحلة بيع الخواتم.

كنتُ أحفظُ ومازلتُ مسرحياتِ اللبنانيين عن ظهرِ قلب، لا أغفلُ جزئيةً واحدة، حين قررتُ الهرب من كلِّ «راجح»* تمادى في البلاد. هذا الاسم في ذاكرتي، بات وجهاً واحداً لألف ألف قاتل لا أعرف أسماءهم، ولا أعرف من أين نبت لهم هذا الشر كله، ولكنني أعرف أنه حصاد سنين من الارهاب بأشكاله الأخرى، بوجه الجهل ودمع الفقر ودم الذل الممارس منذ حربين أو أكثر. بعضنا هرب أبعد من «جبال الصوان»، وبعضنا لم يفلح في قطع مسافة أبعد من قبو تعذيب وقبر، وبعضنا وصل إلى حيث ساحات ذاكرته تعج بصور «نواطير الثلج»، و«شيوخ المراجل»، كما في ما سمعت، تماماً، وصلت وأنا ألتقط أنفاسي التي تقطعت عند كل نقطة تفتيش قبل معبر «المصنع»، وربما بعده.

قد تكون سنواتي العشرون قبل هذا الحزن، تمر بسلام، تمر بصمت، بعضنا صنع الضجة وصنعتهُ، علمتهُ كيف يقول أمام كل هذا الضجيج، لا لصمت الحملان. منذ سنواتٍ وأنا أرى تشابهاً جلياً بين ذاتي وذات سكان هذه البقعة من الأرض، سنوات من القتل المشابه لموتهم يوماً ما، ذاكرتهم تغصّ بأسماء راحلين، مفقودين، مهجرين، كما نحمل في جعبتنا كمّاً من الفقد نشاركهم إياه ويشاركوننا.

يألفون الحزن أكثر منا، يعبّرون عن كل شيءٍ مثلنا، إلا في الحب، لا أعرف كيف قدمتُ من «سهول الضباب» مرتاباً وأنا أسير وسط نظرات القوم التي تحدق بـ«راجحٍ»، يظنون أنني أحملهُ، بالنسبة إليهم، كل بني قومي «راجح» إلا من يقنعهم بأنه خلع ثوب الشر، أو لم يرتدِه أساساً. كان أملي بسلامٍ روحيٍ يندثر، كلما صادفت شخصاً مقتنعاً لا خير في «راجح»، ولا خير في من أتى من هناك، هناك التي غصت بالحزن الذي تسرب أولاداً وعائلات هاربة إلى الريح من الريح، إلى حيث مختار المخاتير وبعض ممّن يستطيعون فهم الذئب والحمل، بدون أحكام مسبقة.

وصلت منذ سنتين، وأنا عالم بأني مضطر لترك أحلامي، والبحث في شوارع بيروت وساحاتها عن عمل، قربني البحث من الأسماء والحجارة، جعلتني أعرف بعضاً من القوم الرائعين، الذين لهم ذاكرتي وحاضري نفسه، لهم أمانٍ تشبه أمنياتي، لهم مثلي هويتان، انصهرت بالقوم حتى بت أظن أن الأرض هنا، تجمعنا أكثر من هناك، حيث كنت أبحث عن ندفة أمل مخبأة في أسماء من ذاكرتي، أسماء باتت أسماء حاضري، ساحة الدورة، جسر البربير، أشرفية تجمعنا، شارع الحمرا الذي لا يكلُ من خطواتنا، مسارح وقفت عليها كل الأسماء التي كونت ذاكرتي عن المكان، هنا بيروت، بيروت الجميع.

بت عارفاً وموقناً أن القوم لا يتشابهون، وأن جوعنا ليس شبعهم، وأن موتاً من ماضٍ في ذاكرتنا وذاكرتهم، ليس منا ولا منهم، لديهم همنا، ولدينا همهم، بتنا منهم وباتوا منا، لدينا من يكرههم ولديهم من يكرهنا، نشترك بالأرض والريح والماء، نخاف مثلهم، موتاً وهجرةً وعسساً، لديهم دم تحمله في قلبك يشبهك ويشبههم، يمدون يدَ عون لنا ونمد، يد واحدة، أياد صغيرة، قد لا تسد رمقاً، ولكن، بعد انصهاري بدفء الشوارع ولملمة حزني في حجراتها، بت موقناً بأن كل وافد من «سهول الضباب» يصبح عارفاً بأن الحجاب الذي يسد مرآنا ومرآهم، هو مجرد أفكار معلبة انتهت صلاحيتها، كما تنتهي دوماً فكرة «راجحنا» و«راجحهم».

*راجح: شخصية في مسرحية «بياع الخواتم» للأخوين الرحباني، تمثل كذبة اخترعها المختار ليفاخر ببطولات متخيلة، وما يلبث أن يظهر راجح بدور بياع الخواتم ناسفاً محاولات البعض استغلال الشخصية، وترهيب وتخريب الضيعة.

* كاتب سوري

قصص

# أنا الغريب

يوسف حاج علي*

أنا الطفلة التي وقَفَت عند شارة السير تحملُ كيساً أكبر منها لتبيعَ علب المحارم للسيارات العابرة، تحت المطر. أنا التي أتفرّجُ على أطفال، في سنّي، يذهبون كل يوم بالباص إلى المدرسة وضحكاتهم وأغانيهم تملأ الصباح. أنا التي حين يتوقف الباص عند شارة السير يتفرّجون عليّ ويشعرون بالأسى تجاهي.

© رسم لنسرين سركيس

أنا التي أنظرُ جيداً في عيونهم وأعرفُ ماذا تقول. أنا التي أتفرّجُ على مراييلهم الملوّنة، والضفائر المربوطة بعناية، وبكلات الشعر الحلوة، وأتذكّر مريولي الذي أحرقته الحرب. أنا التي أحسدهم على قبعاتهم الصوفية، وستراتهم المنفوخة، وحجاب رأسي قد بلّلته العاصفة وأذبلت الرطوبة شعري الجميل المختبئ تحته.

أنا التي مثلهم ذهبت يوماً إلى المدرسة. أنا التي كنت أحبُ المعلمة اللطيفة، والصفّ الكبير، والطبقات الخشبية التي كنت أخربشُ عليها. أنا التي تفرّقَ أصدقائي عندما وقعت الحرب وسُوّيت المدرسة بالأرض. أنا التي أشتاقُ إليهم جميعاً. أنا التي أتمنى لو أنني أغمضُ عينيَّ في هذه اللحظة، وأصير مع هؤلاء الأطفال في باص المدرسة، الذي توقف عند شارة السير.

أنا التي قالت لي معلمة الفنون يوماً إنني سأصير رسامة أو مهندسة. أنا التي صدّقت المعلمة. أنا التي صدّقتها.

أنا التي أطرقُ على نوافذ السيارات أملاً ببيع المحارم فينهرني سائقوها من دون سبب. أنا التي أسمع شتائمهم بحقي وبحق من أحب طوال النهار وبعض الليل. أنا التي أكرهُ المطر الذي يبلّلني، والبرد الذي يقرصني، والشمس التي تحرقني، ودخان العوادم الذي يأكل صدري، وأنا التي أكره صوت زمامير السيارات من الآن وإلى الأبد.

أنا التي إذا بقيت في الشارع سيأتي الغول بعد قليل ليأكلني.

* * *

أنا الأب الذي هربت بزوجتي وبناتي إلى هذا البلد. أنا الذي تركت منزلي ورزقي خوفاً عليهن من الوحوش الكاسرة. أنا الذي لم أجد لهن بيتاً دافئاً يعوّضهن البيت الذي غادرنه، ولا سقف يقيهن المطر والصقيع. أنا الذي وقف عاجزاً أمام مطالبهن التي كن يخجلن بأن يبحنَ بها إليّ، أنا الرجل بالشعر الأبيض.

أنا الذي تهتُ في الشوارع أبحث عن عمل، أي عمل، يساعدني على تأمين حاجاتهن وتلافي طلب المعونة من الغرباء.

أنا الذي صدّني الجميع لأن عمري لا يسمح لي بالصعب من العمل. أنا الذي وقفت حائراً وتائهاً في ما أفعل بكوم اللحم الجائع. أنا الذي اسودّت الدنيا في وجهي، ورفضتُ أن أمدّ يدي للناس وأبيتُ أن أطلب شيئاً، لأني لم أعرف ولن أعرف القيام بهذا الأمر.

أنا الذي وقفتُ على كرسيّ حديدي صدئ يهتز على أرجلٍ أربع. أنا الذي شددتُ الحبل السميك جيداً في السقف وعقدته على عنقي. أنا الذي أشعلتُ السيجارة التي نفثتُ مع دخانها كل الهمّ الذي كوّمته في قلبي. أنا الذي رميتُ عقابها على الأرض ورميتُ معها كل إيماني بالعدالة في هذه الدنيا.

أنا الذي أزحتُ الكرسيّ بقدمي، وبقيتُ معلّقاً وحدي في السقف.

* * *

أنا الشاب الذي اضطررتُ إلى ترك الجامعة. أنا الذي بقي لي سنةً واحدةً لأتخرّج بشهادةٍ في طب الأسنان. أنا الذي خسرتُ معظم عائلتي في لحظةٍ متفجّرة واحدة. أنا الذي صرتُ أخاف من المبضع وأكره الدم لكثرة ما رأيت ولكثرة ما مسّني.

أنا الذي وصلتُ إلى هذا البلد من دون أوراق رسمية. أنا الذي أحببتُ ناس هذا البلد مع أنهم توجّسوا مني ومن لهجتي.

أنا الذي لم يرضوا أن يؤجّروني غرفةً يتيمة لأنني شاب وحيد. أنا الذي ظنوني دخيلاً، وعميلاً، وإرهابياً.

أنا الذي بحثتُ عن المهرّب، وأنا الذي قرّرتُ عن قناعةٍ أن أغامرَ بروحي كي أصل إلى أوروبا بحثاً عن حقوق إنسانية فقدتها في بلدي وفي بلدكم.

أنا الذي سألبسُ سترة النجاة وأنطلقُ من ساحل هذا البلد نحو بلاد جديدة. أنا الذي لم أتعلّم السباحة يوماً.

أنا الذي ابتلعني المتوسّط وحملتني أمواجه كي أدفنَ مع آخرين مثلي في مقبرة الغرباء.

* * *

أنا الأم التي غطّت بطنها بحرامٍ من الصوف وكنتُ أحسدُ الطفلَ الذي ينام في داخلي على الدفء الذي يتنعّم به. أنا التي كنت أنظر إلى أصابعي فأراها جافة وزرقاء من شدّة البرد. أنا التي ظلّوا يسألونني لماذا حملتِ وليس لجسدكِ القدرة على درّ الحليب؟

أنا التي سألوني لماذا تنجبينَ وأنتِ تعيشينَ في خيمة للاجئين؟

أنا التي أصابني العقم تسع سنوات وما انفكّ عني إلا في هذه الظروف. أنا التي ذعرتُ عندما تأخّر طمثي فظننتُ أنني فقدتُ القدرة على الإنجاب. أنا التي لم أصدّق خبر الحمل، وظننت أن الطبيب الذي زارنا في المخيم يواسيني ويرفع من معنوياتي. أنا التي رأيتُ دنيا أخرى بعد ذلك في عيني الجنين الذي كان يسبح في أحشائي.

أنا التي رغم الحرب، ورغم الألم، ورغم المعاناة أصابني بصيصُ أملٍ في قلبي حلمتُ به سنين. أنا التي تخيّلتُ ملابس أطفال صغيرة بالزهري والأزرق. أنا التي حلمتُ بعربة أجرّها، وطفل يضحك وينادني بالكلمة الأحلى. أنا التي انتظرتُ هذه الكلمة طوال عقدٍ من الزمن، وصلّيتُ ونمتُ باكيةً كي تسمعني السماوات التي استجابت أخيراً لدعواتي وانتظاري.

أنا التي مات جنينها من الحزن قبل أن يولد. أنا التي لن أعرف الأمومة بعد اليوم.

(ملاحظة: أي تشابه بين أصحاب هذه القصص مع قصص وقعت فعلاً هو تشابه حقيقي ومقصود).

*رئيس قسم المجتمع في جريدة «العربي الجديد»

إعلام

# التغطية الإعلامية للنازحين السوريين في الإعلام اللبناني: نحو مقاربة مهنية وأخلاقية

د. محمود طربيه*

تركت الازمة السورية تداعيات كبيرة على الواقع اللبناني من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والانسانية والتربوية ذلك ان لبنان كان اكثر من سواه من دول الجوار التي تأثرت بالازمة السورية عبر موجات النزوح السوري الى لبنان والتي ارتبطت وتيرتها بالوضع الميداني في سوريا.
إزاء هذا الواقع المستجد، فرضت المواضيع الحياتية والمعيشية المرتبطة بالنازحين السوريين في لبنان منذ بداية الازمة السورية على أجندة الإعلام اللبناني بكافة وسائله المكتوب والمرئي والمسموع والإلكتروني وباتت تغطية تلك المواضيع جزءاً من العمل اليومي للعاملين في كافة المحطات حيث تنوعت التغطية بين المادة الخبرية اليومية والتحقيقات والتحليلات التي تبحث ما وراء الحدث اليومي الامر الذي حدا بالاعلام اللبناني ان يواكب تلك التداعيات بكل تفاصيلها نظراً لانها باتت جزءاً من تفاصيل الحياة اليومية في لبنان.
هذا الامر يدفعنا الى طرح تساؤلات تتعلق بالتغطية الاعلامية في وسائل الاعلام اللبنانية المختلفة لموضوع النازحين السوريين حيت نبدأ في الحديث عن آليات التغطية الإعلامية للموضوع وصولاً الى أخلاقيات التغطية الإعلامية وننهي ببعض الاستنتاجات حول التغطية الإعلامية للنازحين السوريين في لبنان.

### ملاحظات في التغطية

يعرّف الباحثون في مجال الصحافة والإعلام التغطية الإعلامية على انها عملية الحصول على معلومات وتفاصيل متعلقة بحدث معين، والإحاطة بأسبابه، ومكان وقوعه وأسماء المشتركين فيه، وكيف ومتى وقع، وغير ذلك من المعلومات التي تجعل الحدث مالكاً العناصر التي تجعله صالحاً للنشر.

واذا كان موضوع النازحين السوريين في لبنان - منذ بداية الحرب في سوريا التي ادت الى موجات متتالية من النزوح باتجاه المناطق اللبنانية - هو الحدث الذي يتطلب الحصول على معلومات وتفاصيل متعلقة به، فإن التغطية الإعلامية لهذا الموضوع كانت على مدى السنوات الماضية الخبز اليومي لوسائل الإعلام اللبنانية والعربية والأجنبية. على صعيد وسائل الإعلام المحلية، تقدم موضوع النازحين السوريين في كثير من الاحيان على غيره من القضايا المحلية نظراً للتأثير الذي تركه على الساحة اللبنانية وجود أعداد كبيرة من النازحين مقارنة مع عدد المواطنين اللبنانيين والتي فاقت النسبة المعمول بها عالمياً وفق ما اشارت إليه منظمات دولية.

في تقرير صادر عن «مشروع بناء السلام في لبنان» التابع لبرنامج الامم المتحدة الانمائي الذي يتضمن دراسة أعدتها مؤسسة مهارات (2015) حول «رصد العنصرية في الاعلام اللبناني: تمثيلات السوري والفلسطيني في التغطية الاخبارية»، تبيّن أن ملف النزوح السوري هو الطاغي على التغطية الإخبارية حيث حظي بنسبة 75 % من التغطيات الرئيسية للصحف اللبنانية خلال فترة الرصد والتحليل (من 5 إلى 25 شباط 2015) نظراً للاستحقاقات الإجتماعية والأمنية والسياسية التي يطرحها النزوح السوري.

ورغم ان موضوع النازحين حافظ على حضور بارز بوتيرة يومية في وسائل الاعلام اللبنانية، فمن الملاحظ أيضاً أن حجم ونوع التغطية لموضوع النازحين السوريين في لبنان كان يتفاوت تبعاً لعوامل ترتبط بدورة العمل الصحفي اليومي ووتيرة الاخبار المتعددة وكانت التغطية الاعلامية تركز على الامور التالية:

1 - العوامل الجوية والظروف المناخية وتأثيراتها على النازحين حيث نشرت الصحف المحلية وبثت التلفزيونات اللبنانية تقارير عن اوضاع السوريين في مخيمات البقاع اثناء العواصف الثلجية وافتقار النازحين الى وسائل الايواء والتدفئة.

2 - الاوضاع الصحية للنازحين السوريين إن من حيث تفشي الامراض أو صعوبة الحصول على علاج.

3 - الأوضاع المعيشية مع تراجع المساعدات من المنظمات الدولية والدول المانحة.

4 - الأوضاع التعليمية لأولاد النازحين السوريين وتأثيراته على التعليم الرسمي في لبنان.

5 - الزيارات التفقدية لممثلي الهيئات الدولية إلى لبنان ولقاء المسؤولين والوزراء المعنيين بملف النزوح السوري في لبنان.

6 - الزيارات التفقدية لمسؤولين أجانب إلى مخيمات النازحين في البقاع أو مدارس رسمية في برج حمود وغيرها للإطلاع عن كثب على واقع النازحين.

7 - مؤتمرات دعم النازحين السوريين في لبنان ودول الجوار التي تستضيف النازحين والتي عقدت في بيروت والكويت وغيرها من الدول.

وإذا حاولنا الإنتقال من العام إلى الخاص، نلاحظ ان تغطية وسائل الإعلام اللبنانية كانت إما تمهيدية التي تهتم بالحصول على التفاصيل والمعلومات المتعلقة أو تقريرية التي تتم بعد وقوع الحدث أو متابعة التي تعالج نتائج أو تطورات جديدة. يبرز ذلك عند متابعة المواد الإعلامية التي يتم نشرها أو بثّها فالصحف اللبنانية أفردت صفحاتها للكتابة عن موضوع النازحين السوريين والنشرات الاخبارية التلفزيونية على كافة المحطات اللبنانية استفاضت في الحديث عن الموضوع عبر تقارير مراسليها في الميدان عبر الاراضي اللبنانية.

أما من حيث المضمون فكان في غالبه يقوم على التغطية المحايدة حيث تقدم الحقائق فقط والتفسيرية حيث تقدم معلومات تفسر ما يتم تقديمه إلى جانب الحقائق وفي بعض الاحيان كانت التغطية متحيزة بعض الشي حيث التركيز على جانب معين من الخبر، وقد يتم حذف بعض الوقائع، أو يبالغ في بعضها أو يشوه بعضها.

ووفق التقرير المشار اليه أعلاه «رصد العنصرية في الاعلام اللبناني: تمثيلات السوري والفلسطيني في التغطية الاخبارية»، فقد اختلفت النبرة الإعلامية التي تظهر في الصحافة اللبنانية خلال فترة الرصد حيث بلغت النبرة المحايدة النسبة الأعلى 49 % تليها النبرة السلبية 27 % في التغطيات التي تتعلق بالاخبار الأمنية من مداهمات واجراءات أمنية وتغطيات الجرائم المرتكبة من قبل السوريين ثم الإيجابية 24 % في التغطيات الإخبارية التي تتناول موضوعات تأمين المساعدات للنازحين وتأمين المسكن والمدارس لأولاد النازحين وكذلك موضوع الكوارث والحوادث التي يتعرض لها النازحون في الظروف الصعبة.

### أخلاقيات التغطية

أشار القسم الثالث من تقرير «رصد العنصرية في الإعلام اللبناني: تمثيلات السوري والفلسطيني في التغطية الإخبارية» الى موضوع الإعلام اللبناني والعنصرية حيث تم تحليل عينة واسعة من المواد

## مواضيع التغطية الرئيسية ذات النبرة السلبية لقضايا السوريين والفلسطينيين

**العينة من ٢٢ تقريراً مرصوداً**

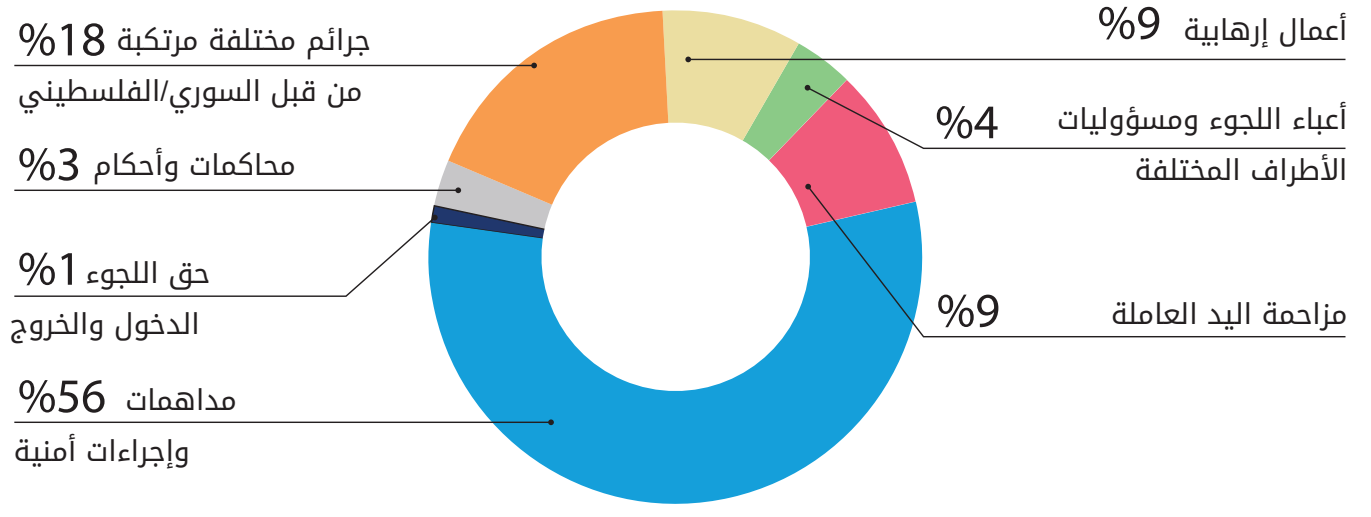


من دراسة أصدرتها مؤسسة «مهارات» بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي تحت عنوان: «رصد العنصرية في الإعلام اللبناني: تمثيلات السوري والفلسطيني في التغطية الإخبارية»

الإعلامية التي نشرت في الصحف وعلى المواقع الإلكترونية أو تم بثّها عبر محطات الإذاعة والتلفزة في لبنان. فقد أورد التقرير عدة عناوين تحمل مدلولات توحي بالعنصرية مثل استخدام مشاعر الخوف والقلق من الآخر حيث يشّكل النازحون السوريون تهديداً للهوية الوطنية وعبئاً على الدولة وسبباً لارتفاع نسبة الجرائم وحلقة الكراهية وكلمات العنصرية مثل تسمية الآخر وبلاغة العدد واستعارة مصطلحات الحرب مثل قنابل موقوتة.

تقودنا الإشارة إلى موضوع العنصرية في الإعلام اللبناني تجاه النازحين السوريين إلى العودة إلى بعض ما جاء في ميثاق الشرف لتعزيز السلم الاهلي (الذي أطلقه مشروع بناء السلام لتعزيز السلم الاهلي التابع لبرنامج الامم المتحدة الانمائي عام 2013) والتي يمكن الإستدلال به لمعالجة أخلاقيات التغطية الإعلامية لموضوع النازحين السوريين في لبنان.

في هنا السياق، لا بد من التوقف عند جملة امور منها:

1 - حرص وسائل الإعلام اللبنانية على رفض مبادئ التمييز العنصري فيما يتعلق بموضوع النازحين السوريين، والامتناع عن التعرّض بطريقة مباشرة أو غير مباشرة للطعن بكرامة الناس.

2 - حرص وسائل الإعلام اللبنانية على التعامل بمهنيّة ومسؤوليّة إجتماعية في موضوع خطاب الكراهية.

3 - إلتزام الدقة والموضوعية في صياغة وتحرير واخراج ونشر المعلومات والوثائق والصور والمشاهد المتعلقة بالنازحين السوريين.

4 - الحرص على تفادي الأخطاء أو استخدام مفردات القدح والذم والتشهير والتمييز في ما يتعلق بموضوع النازحين السوريين.

**بعض الإستنتاجات**

إنطلاقاً مما سبق التطرق اليه، لا بد من التوقف عند بعض الاستنتاجات في ما يتعلق بموضوع التغطية الإعلامية للنازحين السويين الى لبنان.

في الشق المهني، كانت التغطية الإعلامية لموضوع النازحين السوريين إلى لبنان شاملة من حيث التطرق الى كافة الجوانب المتعلقة بالموضوع. في هذا الإطار، كانت المتابعات الميدانية واضحة من خلال عمل المراسلين والمندوبين ونقل صورة ما يجري من موقع الحدث بشكل وافٍ. وغلبت النبرة المحايدة والايجابية على التغطية الاعلامية مع رصد لتغطيات سلبية في بعض الوسائل الإعلامية وكان التركيز في التغطية الإعلامية يتمحور في اوقات كثيرة حول البعد الانساني من خلال نقل معاناة النازحين السوريين وسعي الإعلام للمساهمة في تقديم المساعدة من خلال عرض المعاناة.

في الشق الأخلاقي، كانت التغطية الإعلامية لموضوع النازحين السوريين الى لبنان تعمل بشكل عام وفق معايير مهنية واخلاقية. لكن النتائج التي وردت في التقرير المشار إليه اعلاه تبرز أن جزءاً من التغطية الإعلامية للنازحين السوريين في لبنان أخذ منحى عنصرياً. هذا الأمر يحتّم على وسائل الاعلام مقاربة الموضوع وفق بعض المعايير التي وردت في ميثاق الشرف لتعزيز السلم الاهلي.

بكلمة أخيرة، إزاء أزمة بهذا الحجم في لبنان، كانت وسائل الاعلام اللبنانية في كثير من الاحيان تعمل بمهنية واحتراف ضمن ظروف صعبة.

*أستاذ في الإعلام

# النازحون السوريون في عيون الإعلام

© أنور عمرو

**ميثم قصير***

كان اسمها ريم، عمرها عشر سنوات، تعيش في مخيم عشوائي في البقاع الغربي، تذكر سوريا جيداً، جريئة وتحلم بأن تكون صحافية. وقفت تنتظر أن يطرح عليها الصحافي السؤال لتجيب بأنها تكره كل شيء هنا، تكره العيش في الخيم، وتكره العيد بعيداً عن بلدها سوريا، وتدرك معاناة أهلها في منحها القليل من تلك الفرحة. فهم لا يملكون المال، ومحاصرون في مخيمهم، فإن خرج والدها منه فقد لا يعود لأن إقامته غير قانونية هنا. وإن خرجت والدتها فقد لا تتمكن من شراء الهدايا لها لغلاء ثمنها أو لما قد تتعرض له من مضايقات، وأكثر من ذلك، السوريون لا يمكنهم التجول بعد ساعة معينة. كل ذلك تعرفه ريم، بنت العاشرة، وتدرك أن هناك من يحاول منحها القليل من البهجة رغم كل شيء. لكنها لا تريد أياً من ذلك، تريد العودة إلى سوريا.

قالت كل ذلك، ثم أخذت الميكروفون، وسألت رفيقتها السؤال نفسه: هل أنت سعيدة اليوم؟ ترددت صديقتها بالإجابة. قالت لها ريم: لا تخافي، كلامك أنت لن يظهر على التلفاز.. قولي لي بقلبك.

* * *

**منذ أن بدأ السوريون بالنزوح إلى لبنان والهرب من الموت الذي يحيط بهم في بلدهم جراء اتساع رقعة العنف هناك، وهم محور اهتمام الإعلام. من النقاش إن كانوا نازحين أم لاجئين، إلى عددهم واحتياجاتهم، وكيفية استيعابهم، وضبط عملية دخولهم إلى لبنان، وبعدها التضييق عليهم في تنقلهم، والأوصاف التي صُبغوا بها، والادعاءات عن مدى تأثيرهم سلباً في المجتمعات المضيفة لهم، وحتى الربط بين وجودهم في لبنان ومشاكل صغيرة كانت أم كبيرة يعاني منها لبنان.**

**كل ذلك ساهم الاعلام في إظهاره وتكريسه تارة، وتبديده ومحاربته تارة أخرى. وفي الوقت نفسه خلق هذا التناقض علاقة معقدة نوعاً ما بين هؤلاء الناس والإعلام بالمجمل. طالت الأزمة، ومع ذلك لم يستطع اللاجئون السوريون أن يعتادوا على وجود هذه الكائنات حولهم، فخصوصيتهم باتت مفقودة في هذه الحياة المؤقتة في ظل غارات من يبحث عن سبق صحفي هنا وهناك.**

* * *

إسمه علاء يعمل بائعاً للورد، هرب مع عائلته من حلب، والده لا يستطيع أن يعمل، فقد يحرم من المساعدات التي تشح شيئاً فشيئاً. كل يوم عليه أن يعود مع مبلغ لا يقل عن ستين دولاراً، وإلا سيكون حسابه عسيراً. يرفض علاء أن تسيء إلى والده، فهو يحبه ويدرك أنه مجبر على دفعه إلى العمل، فهو يذكر أن أباه الأمّي كان قبل أربع سنوات يصرّ على أمّه التأكد من إنجاز علاء لواجباته المدرسية قبل الخلود إلى النوم. لكن اليوم لم يعد لديهم منزل، والإيجارات غالية في بيروت، والعودة إلى سوريا ليست واردة في القريب العاجل، ولذلك فإن عمل علاء مؤقت كما هي الحياة في لبنان.

في استراحة على كورنيش الروشة، يتأمل علاء راكبي الدراجات المائية وهم يعبرون تحت الصخرة، يلتفت إليّ ويسألني: كم وردة أحتاج لأمتلك مثل هذه الدراجة؟

* * *

**في البداية ظنّوا أننا قد نكون (نحن الصحافيين) وسيلة لتخفيف معاناتهم التي، عاماً بعد عام، كانت تتفاقم في ظل عدم وجود سبيل للتخفيف منها، وفي الوقت نفسه كان الخوف دائماً مرافقاً لأي احتكاك بينهم وبين كل من يحمل صفة صحافي.**

**الأمر الذي يجعل من الثقة مفتاحاً أساساً لكسر هذا الحاجز، مفتاحاً يفكّر السوري دائماً إن كان هذا الشخص جديراً بأن يحصل عليه في فترة قصيرة أم لا. لتدور برأسه أسئلة عدة، لماذا أخبرك قصتي، هل تملك القدرة على إيجاد الحل، ماذا سيحصل لي بعد أن تنشر ما سأخبرك به؟ كيف بإمكاني أن أتأكد من صحة ما تحاول طمأنتي من خلاله؟ كيف ستستخدم قصتي بعد ذلك؟ هل سأندم؟ هل ستسأل عني بعد أن امنحك ما تريد لتقريرك الصحفي؟**

* * *

إعتقل زوجها أثناء هربهم من ريف حمص، كانت حاملاً بطفلها الخامس، طفل ولد في لبنان، لأربعة إخوة تعاني اليوم والدتهم، وهم يعيشون في مجمّع مهجور تحت الأرض في الجنوب. وكأنهم مدفونون فعلاً، فالجهات الإغاثية منذ عامين لم تمر عليهم. تسألها ما هو أكثر ما تعانين منه، تجيب أطفالي بحاجة إلى الطبابة، وهنا الأطباء يستغلوننا، يسجلون أسماءنا في سجلات المنظمات الدولية، ولا يعطوننا الأدوية اللازمة. يظنون أننا نجهل ما يفعلون. يريدون أن يجعلوا من حياتنا جحيماً، لا ضوء شمس يصلنا، ولا ماء نظيفة، ولا غذاء يسير. والله إن الموت تحت القصف أرحم مما نعيشه هنا. ثم تسكت فجأة وتقول: أرجوك لا تكشف عن وجهي، لا أخاف من أحد لكن أخاف على أولادي.

* * *

**تجارب عدة جعلت من السوريين يشعرون بأن هذه المخلوقات التي تسمى صحافيين لا تنظر إليهم كبشر أصلاً، ومع مرور الوقت باتوا يفضلون أن يتألموا بصمت على أن يرووا لنا ما يعانون منه، معاناة باتوا على قناعة أيضاً بأننا عاجزون عن التخفيف منها أو التأثير بها. على الرغم من أن هناك من أمل ضئيل أحياناً لعدد قليل تحسّنت أحوالهم لكني أخاف أحياناً وأنا أحاورهم بأنهم على حق. فصوتهم يذهب غالباً مع الصدى.**

*صحافي لبناني

حاجات خاصة

# لاجئون ومواطنون توحّدهم مأساة سبقت الحرب

## الأطفال المعوّقون في بيئة لا تحترم حاجاتهم

**عماد الدين رائف***

الطفلة السورية ي.د. (13 سنة)، تعيش في خيمة مع ثمانية من أفراد أسرتها، غير المسجلين في لوائح «المفوضية العليا لشؤون اللاجئين» التابعة للأمم المتحدة، ما يحرُمهم من التقديمات الأساسية من جهة، ومن صفة اللجوء من جهة أخرى. يحفُّ الجوع بالأسرة، المقيمة في مخيم يونين البقاعي حيث لا أحد من أفرادها يُعدّ منتجاً، ما أصاب أختها م.د بفقر في التغذية.

لدى ياسمين انحناء حاد في العمود الفقري، يتسبب لها بآلام مستمرة وصعوبات في الحركة. كانت تستطيع الوقوف والمشي على قدميها، لأداء مهمات منزلية مطلوبة منها، ما زاد من التقوّس في ظهرها. بالإضافة إلى سوء معاملة زوجة أبيها لها، وتلقيها أصنافاً من العنف اللفظي، فوالدها كان يرفض خروجها من الخيمة لأسباب «اجتماعية»، ما أدى إلى انعزالها التام في زاوية الخيمة، وتبوّلها اللاّإرادي، وخجلها من إعاقتها.

خلال زيارة ميدانية للمخيم، تعرفتْ إلى الطفلة إحدى العاملات الاجتماعيات، في «مشروع تمكين الأشخاص ذوي الإعاقة من التعامل مع الأزمة السورية» المنفّذ من قبل «اتحاد المقعدين اللبنانيين» في البقاع. فتم تحويلها إلى أحد برامج الهيئات الدولية لتأمين جهاز طبي لظهرها، إلا أن هذا الجهاز، بعد تأمينه، تسبب لها بآلام إضافية، واتضح أنه غير مناسب. وبعد تحويل ي.د من جديد إلى جلسات العلاج الفيزيائي بدت بعض ملامح التحسن المرحليّ عليها، إلا أن الفحص الطبي أظهر أنها بحاجة إلى تدخل سريع، فبالإضافة إلى الجهاز، هي بحاجة إلى عملية جراحية عاجلة، وبدونها يُعتقد أنها لن تتمكن من السير مجدداً. فإن تفاقمت لديها الإعاقة، هل سيكون بمقدورها التحرك على كرسي مدولب في مخيم؟ هل يمكن للعائلة اللاجئة تغيير مكان إقامتها؟ وهل البيئة المبنية ذات الاستخدام العام، للمواطنين واللاجئين معاً، ولدى الأسر التي استطاعت استئجار شقة سكنية، هي أفضل حالاً للأطفال المعوّقين؟

### أرقام وحاجات

حالة ي.د. هي واحدة من 306 حالات رصدها المشروع المنفّذ من قبل «اتحاد المقعدين اللبنانيين»، وتدّخل مع 284 منها. والمشروع بجانبيه الإحصائي والإغاثي-الخدماتي، حاجة ملحة لمنطقة تضم عدداً كبيراً جداً من اللاجئين في ظل غياب إحصاء علمي لهم. فالأرقام المتوفرة من «المفوضية» عن محافظتي بعلبك-الهرمل والبقاع بشكل عام، تفيد بتسجيل 9342 معوّقاً، توزعوا وفق أنواع الإعاقة كالتالي: بصرية 1362 شخصاً (503 إناثاً، 859 ذكوراً)، حركية 1892 شخصاً (621 إناثاً، 1271 ذكوراً)، ذهنية 816 شخصاً (346 إناثاً، 470 ذكوراً)، سمعية-نطقية 1602 شخصاً (640 إناثاً، 962 ذكوراً)، إعاقات أخرى 3670 شخصاً (1257 إناثاً، 2413 ذكوراً). وبالتالي نحو 40 في المئة من اللاجئين المعوّقين الحاصلين على بطاقة «المفوضية» لم يتم تحديد نوع إعاقتهم، إما لعدم تخصص الاستمارة من جهة، أو لضيق سعة التصنيفات المحلية للإعاقة مقارنة بالتصنيفات المتبعة عالمياً، في زمن ما بعد الاتفاقية الدولية بشأن حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة.

لذلك، لا سبيل للوصول إلى اللاجئين المعوّقين، لاسيما الأطفال منهم، إلا عبر البحث عنهم في مخيمات ومراكز اللجوء، قبل تحديد الحاجات وإمكانيات التدخل لتلبيتها. وأظهر البحث أن معظمهم موجودون في مدينة بعلبك وجوارها، ومجدل عنجر وبرالياس والمرج (نحو 90 في المئة)، بالإضافة إلى توزع النسبة الأقل على بلدات علي النهري، وبريتال، وغزة، وجب جنين، والهرمل، وإيعات، وشمسطار، وتعلبايا، وتعنايل وتمنين.

لا يخفى أن البيئة المبنية في تلك المناطق، كما هي الحال في لبنان ككل، تغيب فيها التجهيزات الهندسية التي تحترم حاجات الأشخاص المعوّقين، سواء بحدها الأدنى كما نص القانون 2000/220 الخاص بحقوق الأشخاص المعوّقين في قسمه الرابع، أو بما يتلاءم مع النظام الشامل الذي تفرض احترامه الاتفاقية الدولية بشأن حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، والتي إلى اليوم لم يصادق عليها البرلمان اللبناني أو على بروتوكولها المرفق، على الرغم من مرور أكثر من تسع سنوات على صدورها.

ووفق منسقة «مشروع تمكين الأشخاص ذوي الإعاقة من التعامل مع الأزمة السورية» المنفّذ من قبل «اتحاد المقعدين اللبنانيين» سمر الطفيلي: إذا كانت البيئة المبنية ذات الاستخدام العام أو الخاص في البلدات والمدن كذلك، فكيف ستكون الحال في مخيمات نزوح تكاد تخلو من أي تجهيزات تخول الشخص المعوق من التحرك فيها؟ فالمعوقون السوريون لجأوا إلى بيئة مأزومة أصلاً، لا تلبي الحاجات الأساسية للمواطن المعوق، ولا تطبّق فيها حتى التشريعات المتعلقة بالخدمات الملحّة إلا استنسابياً، كما في خدمات الطبابة والاستشفاء، في ظل صعوبات في الحصول على الأجهزة التعويضية والمعاينات الطبية. أما معظم بنود القانون 2000/220 المتعلقة بالدمج التربوي والتعليم والرياضة والترفيه والسكن، والعمل اللائق... فلم يطبّق شيء منها منذ 16 سنة إلى اليوم.

### رهائن المكان

تبيّن أرقام المشروع أنه تم التدخل مع 161 طفلاً في البقاعين الأوسط والشمالي (89 في المئة منهم دون 15 سنة، 37 في المئة منهم إناث) من أصل 284 لاجئاً، إذ يشكل الأطفال نسبة 57 في المئة منهم، ويتوزعون على الإعاقات الأربع (سمعية-نطقية، بصرية، حركية وذهنية)، بالإضافة إلى 19 حالة تعدد إعاقة. و75 في المئة من الأطفال يعيشون في خيم نزوح، والباقون في شقق مستأجرة أو أبنية تفتقد أدنى مقومات التجهيز الهندسي الملائم للإعاقات الحركية، والبصرية والذهنية، فهم في الواقع رهائن مكان لا يحترم حاجاتهم، بالإضافة إلى حاجات إضافية فرضها اللجوء من جهة، وأوضاعهم الصحية من جهة أخرى.

لكن، وإن كان التدخل مع الطفل المعوق يتضمن علاجات ومعينات طبية، إلا أنه لا يمكن عزله عن بقية الأطفال من لاجئين وغير لاجئين. وعلى الرغم من الصعوبة البالغة في ذلك، عمل المشروع على محاربة عزل الأطفال المعوّقين في لجوئهم، وفق الطفيلي، بالتوازي مع اللبنانيين والسوريين والفلسطينيين والعراقيين، أي نحو أربعة أضعاف عدد الأطفال المعوّقين السوريين، وذلك في إطار «برنامج الطوارئ» - قسم العلاجات التأهيلية، الذي يتضمن العلاج الفيزيائي، وعلاج النطق، والعلاج الإنشغالي، والمعينات الطبية.

فقد تم جمع معلومات دقيقة حول حاجات الأشخاص المعوّقين من خلال التقييم الميداني والإحالات من قبل الجمعيات والأطراف. وتم إجراء اتفاقيات مع الاختصاصيين وتدريب فريق العمل على معايير الإحالة لكل نوع من العلاجات، وتنظيم الآليات المتبعة في كل نوع لأفضل نتائج في متابعة تطور الحالة. بالإضافة إلى تحضير العيادات اللازمة والعيادة النقالة. وبذلك بات الأطفال اللاجئون جزءاً من عمل متكامل يتخطى الإغاثة والعلاج إلى دمجهم في نشاطات تدريبية وترفيهية. فكان لا بد من تدريب العاملين في معظم الجمعيات والمنظمات الإغاثية العاملة في البقاع على كيفية التعامل مع الأفراد المعوّقين، وقد تم تفعيل نظام الإحالة للرد على حاجات مختلفة تتخطى قدرة المشروع من المعينات الحركية، والعلاجات الطبية والصحية، والمتابعات القانونية (تمت إحالة 277 شخصاً حتى الآن وتجري متابعتهم للتأكد من حصولهم على الخدمة المطلوبة).

وعمل قسم الدعم النفسي الإجتماعي على تنفيذ نشاطات خارجية مجتمعية، ونشاطات دعم نفسي اجتماعي مختلفة للاجئين والمقيمين على حد سواء، بالإضافة إلى أنشطة ترفيهية للأطفال تدمجهم بالبيئة المحلية. وسبق ذلك تمكين وتدريب فريق العمل مع فريق من المتطوعين الذين سيقومون بتنفيذ النشاطات، مع التركيز على الأطفال والمراهقين، معايير حماية الأطفال في حالات الطوارئ، مراحل نمو الأطفال، التواصل، تقديم الدعم المعنوي للطفل والعائلة، الإعاقة والدمج، الاهتمام بالناجين من العنف. وتم تقييم الواقع النفسي الاجتماعي في الأماكن المستهدفة من خلال استبيان دقيق (عاطفي، نفسي، إجتماعي، سلوكي)

وتحليل البيانات قبل وضع خطة العمل.

وتكمن الصعوبات أولاً، في التعامل مع نظرة المجتمع المتوارثة عن الطفل المعوق، وحرص بعض العائلات على إخفائه عن الأنظار، لاسيما إن كان أنثى، ما يجعل الطفلة أو المراهقة المعوقة تحت وطأة تمييز مزدوج، أولاً لكونها أنثى، وثانياً لكونها معوقة، فيساهم ذلك في تفاقم حالتها النفسية والسلوكية. ويساهم اللجوء وظروفه القاسية في حرمانها من حقوقها الأساسية، وغالباً ما يكون الحرمان منعها من الخروج من خيمة اللجوء في عائلات تكثر فيها البنات، وذلك كي لا تؤثر إعاقتها على «نصيب» أخواتها في الزواج. وربما تؤشر نسبة الوصول إلى 37 في المئة فقط من الإناث إلى جانب من ذلك التمييز. والتمييز تم رصده غير مرة عبر «مرصد حقوق الأشخاص المعوّقين»، بنسب مرتفعة في المناطق اللبنانية، بغض النظر عن مستوى دخل الأسرة أو معيشتها، فكيف الحال إن كانت الطفلة في خيمة لجوء؟

## صرخة في واد

على الرغم من عدم مصادقة لبنان على الاتفاقية الدولية التي تزود منظمات الأشخاص المعوّقين بآلية رصد حسن تطبيقها، إلا أن تلك المنظمات لم تعدم وسيلة لإيصال صوتها إلى المنظمة الدولية، فأعدت تقرير ظل رفعته إلى المفوض السامي لحقوق الإنسان في إطار المراجعة الدورية بشأن امتثال لبنان للالتزامات المتعلقة بحقوق الأشخاص المعوّقين أو ما يعرف بـ«التقديم الدوري الشامل»، وهو تقرير يقدم بالتزامن مع عرض لبنان الرسمي لتقريره، وقد تم ذلك في جنيف مطلع تشرين الثاني الماضي.

أعدت التقرير منظمات «التحالف اللبناني للإعاقة» و«المنتدى اللبناني للإعاقة» وقدّمه «اتحاد المقعدين اللبنانيين» كجهة تنفيذية، وتضمن حقوق اللاجئين السوريين المعوّقين، وطالب بشملهم بتقديمات القانون 2000/220 والاتفاقية الدولية. وهذا التقرير، الذي عرضت توصياته في بيروت في كانون الأول الماضي بدعوة من «شبكة المنظمات العربية غير الحكومية»، لاحظ أن «استمارة المفوضية العليا لشؤون اللاجئين غير متخصصة، ولا ترصد نوع الإعاقة ودرجتها، وتعتمد بدرجة كبيرة على أقوال اللاجئين أنفسهم (الإعاقة والحاجات) وليس على ملاحظة متدربين متخصصين». أما في التربية والتعليم فـ«يُحرم الأطفال المعوقون اللاجئون من البرامج التعليمية البديلة، في ظل عشوائية تقدم عبرها الخدمات التعليمية الرسمية والتعاقدية حيث يتركز اللجوء، وذلك بسبب غياب التجهيزات الملائمة، والمنهاج المكيف، والكادر التعليمي المدرب». كما أنه في الصحة والتأهيل «تم تقليص الميزانيات التي تغطي الطبابة والاستشفاء وعلاج الأمراض المزمنة والمستعصية إلى حدودها الدنيا تدريجياً خلال السنة الماضية، فيما لم تلحظ التقارير الدورية أعمال تأهيل متخصصة للأشخاص المعوّقين».

وفي حق العمل «يُحرم اللاجئون من العمل، فيما يعتمدون على المساعدات المالية والعينية التي تقدمها لهم الجهات المانحة». في حين «يعيش معظم اللاجئين المعوّقين في مخيمات عشوائية تنعدم فيها التجهيزات الهندسية. فهم رهائن مراكز إيواء مرتجلة، أو مخيمات تفتقر إلى الحدود الدنيا من معايير السلامة والنظافة».

وطالبت المنظمات المعنية بالإعاقة بـ«تحديد درجة الإعاقة ونوعها والحاجات الإضافية للاجئين المعوّقين وفق استمارات متخصصة وموحدة، وضمان وصول ومشاركة الأطفال المعوّقين اللاجئين في البرامج التعليمية الرديفة، عبر تكييف المناهج تدريجياً من الصفوف الدنيا إلى العليا». بالإضافة إلى «اعتبار اللاجئين المعوّقين أولوية فعلية، في ضمان حق وصولهم إلى المراكز الطبية التي تتعاقد معها المفوضية، وتقديم العلاج الملائم لهم»، وكذلك «تأهيل اللاجئين المعوّقين ضمن برامج متخصصة، لاسيما أولئك الذين استجدت لديهم إعاقات جراء الحرب». كما طالبت بـ«تجهيز أماكن الإيواء وفق آلية التجهيزات الهندسية المتحركة، لضمان حق وصول اللاجئ المعوق إلى الخدمات بالتساوي مع اللاجئ غير المعوق».

المنظمات الحقوقية اللبنانية، تترقب شهر آذار 2016، موعد الجلسة الرابعة والعشرين لمجلس حقوق الإنسان في الأمم المتحدة، وتطالب الدولة اللبنانية بإقرار كل التوصيات الحقوقية الـ219 التي وردت خطياً وشفوياً خلال المراجعة الدورية الشاملة، كونها تشكل الحد الأدنى المطلوب ولا يجب القبول بأقل منها. لكن الوقت يمرّ، والحكومة اللبنانية الحالية، شأنها شأن الحكومات المتعاقبة منذ إقرار اتفاق الطائف، تتجاهل تطبيق التشريعات المحلية والدولية ذات الصلة، ما يجعل نداءات المنظمات الحقوقية صرخة في واد.

أمّا المطالبة بحقوق متساوية بين اللاجئين من جهة، وبين اللاجئين والمواطنين من جهة أخرى، تعترضها بيئة غير مرحبّة، ومنطق غير حقوقي معاد لا يزال يحصر الطفل المعوق في النموذجين الطبي والخيري، وينظر إليه كمتلق للخدمة لا كإنسان تحق له المشاركة التامة في الحياة العامة، وعلى المجتمع أن يزيل العوائق التي تحول دون اندماجه. والأطفال اللاجئون المعوقون هم من الفئات الأكثر تهميشاً وإقصاء، إلى جانب النساء المعوقات وكبار السن، والبرامج التي تعمل على التدخل معهم تحتاج إلى الكثير من مقومات الصمود والاستمرارية لتراكم الجهود والخبرات مع بعضها البعض، على أمل ألا تمر سنة خامسة على اللاجئين وهم خارج ديارهم.

* كاتب صحافي وباحث في قضايا حقوق الإنسان في لبنان والعالم العربي

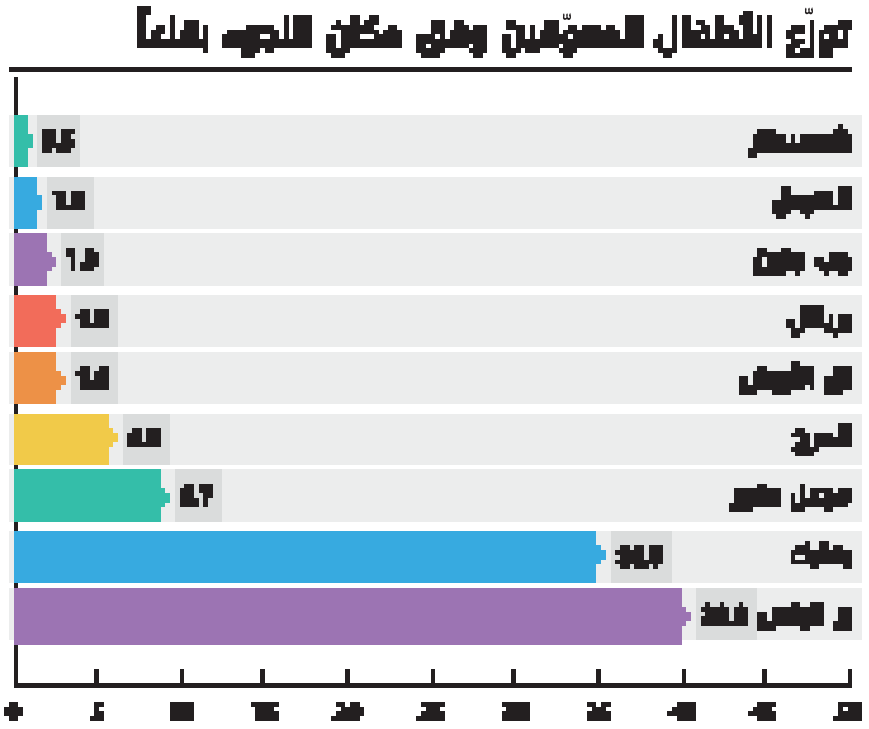


التصميم: نسرين سركيس

مخيم

# يوميّات البؤس السوري

**بادية فحص***

أهل البقاع لا يسمّون سكان المخيمات السورية لاجئين، السوريون في البقاع نازحون، أي مهجرين بفعل الحرب من مكان سكن إلى آخر ضمن حدود وطنهم. كان المجيء إلى البقاع بالنسبة إلى معظم النازحين، قبل الأزمة في سوريا، نزهة يومية، كذلك كان ذهاب البقاعيين إلى سوريا.
المخيمات السورية في البقاع سابقة للأزمة، فعمّال السهل أقاموا هناك مذ تكبّر اللبنانيون على العمل في أرضهم، ووجدوا في فقر السوريين وفاقتهم بديلاً.
بعد الأزمة، اتسعت رقعة المخيمات في البقاع، وصار عدد النازحين فيه، يفوق عدد سكانه، الخيم التي نبتت في كل بقعة فيه تكاد تنافس مواسمه الزراعية.

في أحد مخيمات بر الياس، استعاض مالك الأرض عن زراعة البطاطا، بزراعة الخيم، فالبدل الذي يتقاضاه من «الأمم» ثابت، مضمون، لا خسارات فيه، وموسم النزوح وفير، وإيجار الخيمة بمئة دولار أميركي، وكلما ألصق خيمة بأختها، استبشر خيراً بدوام الأزمة.
حتى النزوح طرفه مبلول بالطبقية فهناك مخيمات بؤس ومخيمات «كلاس»، كتلك التي أخذوا أنجيلينا جولي إليها، تشرح النازحة البائسة، وتتابع: «ألّلهم لا حسد، عندهم غرف مش خيم، لها حيطان وأسقف وأبواب، عندهم حمّامات مرتبة، ومدرسة للأولاد».
في مخيمات البؤس، الخيم ملاعب للريح في الشتاء، تهبط على رؤوس قاطنيها حين يشتد ندف الثلج، وفي الصيف تتحوّل إلى مخازن لحرارة الشمس، ولا تزورها الوفود المتضامنة.

* * *

حين وصلت أم عواد وأهل حارتها، إلى البقاع، تلقفتهم «المساعدات»، نصبوا لكل عائلة خيمة. وسط قطعة الأرض التي اتخذوها وطناً موقتاً لهم، على طرفها، شبه غرفة صغيرة من الباطون، يبدو أنها كانت تستعمل للعّدة، وافق الجميع على أن تسكن فيها أم عواد، نظراً الى كبر سنها وإلى الآلام التي يحركها صقيع البقاع في عظامها، لكن ليتها ما فعلت، تقول متهكّمة، فالغرفة بعد هبوط الليل تتحوّل إلى ملعب للفئران والجرذان. بداية حشت نوافذها بالخرق العتيقة والأواني، وسدّت بابها برفّاص سرير سحبته من المزبلة القريبة ولفّته بالشراشف، لكن قبل طلوع الضوء، كانت القوارض قد أتت على كل المتاريس، وعادت تسرح وتمرح في الغرفة، تجرّ الملاعق والأكواب، وتعبث بما تبقى من طعام. مع الأيام، تآلفت أم عواد مع «ضيوفها»، و«الضيوف» اعتادوها أيضاً. صارت تنام والقوارض تصحو، تتقافز من حولها، تشمشم قدميها وثيابها وتبتعد بهدوء.

* * *

سلامة ليست امرأة فقط، سلامة وطن وشعب وتراب وزرع وحياة. عبارة «لا يأس مع الحياة»، تجسدها في ابتسامتها التي لا تنطفئ، في تفاؤلها الذي لا تفسير له، في الطاقة الإيجابية التي تبثها في نفسك، حين تجّك بيدك إلى زوايا الحياة في المخيم، حياة رتّبتها وقوننتها فأبدعت وعدلت.
هنا زاوية لصنع «الحرامات» بقايا كنزات صوفية عتيقة ممزّقة، تجمعها وتخيطها، وتصنع منها أغطية توزّعها على المحتاجين في المخيم. هنالك زاوية للخبز، موقد وصاج وكارة وألكان للعجين، وأكوام من الخشب والكرتون والعيدان للموقد، تفوح منها رائحة الخبز الشهّية، طيلة ساعات النهار. الخبز بالدور، برنامج يومي يوزع على ربّات الخيم. هن ربّات حقيقيات لأنهن ينهضن كل صباح ليصنعن من هذا اللاشيء حياة. هنالك زاوية للماعز والدجاج، زريبة وخم، يزينان طرف المخيم، ويجعلان العيش فيه ترفاً. ليس هيّناً أن تكون مشرّداً وتحظى كل صباح بكوب من الحليب الطازج أو بيضتين للفطور، جميل أن تتوقف المأساة لحظة ليعود للحياة طعمها العادي.
منزعجة سلامة من الوزير اللبناني الذي اتهم النازحين بمفاقمة أزمة النفايات. وهي ترد: «نحن بالكاد نشبع، الجائع لا يخلف نفايات، النفايات قد تكون طعامه أحياناً».

* * *

لا شيء يعذبني في المخيم كهذا البرد، تقول المحتالة الصغيرة. أستطيع أن أصبر على الجوع والغربة، أن أعيش بلا مدرسة، بلا ألعاب، لكن، لا يمكنني أن أتحمّل البرد.
في سوريا، كنت أحب الثلج، كنت أحسبه عيداً للأطفال، كنت أتوق لملامسته واللعب على بساطه الأبيض، لم أكن أعرف أنه بارد إلى هذا الحد، وأن بياضه يسوّد عيشتنا، ويجعل شفاهنا زرقاء، وأنوفنا حمراء، وقلوبنا بلا نبض. كنت مخطئة حين ظننت أني أحبه.

الثلج يشعرني بالعجز، وأن حياتي تستدعي الشفقة، وأني في حاجة إلى الكثير من المعاطف والكنزات والجوارب الصوفية والأحذية ذات الأعناق الطويلة التي لا يملك أهلي ثمنها الآن.

كانت المساعدات التي حملناها إلى المخيم ذلك اليوم، عبارة عن ثلاثة صناديق من الأحذية الشتوية للأطفال. نادى «الشاويش» على أطفال المخيم، وطلب منهم أن ينتظموا في ثلاثة صفوف. يقف الطفل أمامنا فنسجل اسمه وعمره ونمرة قدميه، نسلّمه حذاءه، ومعه أحياناً قبلة أو غمزة أو بسمة، فينتعله على الفور، ثم يقفل عائداً إلى خيمته.

وقفت المحتالة الصغيرة أمامي، طلبت أن تختار حذاءها بنفسها، فوافقت. لفتني أنها لم تنتعل حذاءها على الفور كما فعل غيرها، بل وضعته تحت إبطها وذهبت. استأنفت عملي، فإذا بي أراها تقف في الصف الثالث، وتدير وجهها إلى الجهة الأخرى كي لا يقع نظري عليها. اقتربت منها، فانهارت بالبكاء قبل أن أتفوّه بأي كلمة. سحبتها جانباً وأنا أعيب عليها فعلتها، كانت تنتحب وصوتها يتقطع وهي تقول لي: «أريد حذاء آخر، أكبر من الذي أخذته. لهذا الشتاء، حصلت اليوم، على واحد، من يضمن لي أن أحصل على ثانٍ، في الشتاء المقبل. ربما لن تعودوا مرة أخرى، ربما ستنسوننا، البرد لن ينسانا».

* * *

بيتي في حوران على تواضعه، أحلى بيت في الدنيا، غرفة كبيرة تستند إليها غرفتان ضيّقتان كطفلتين تلتصقان بأمهما، وبهو واسع يحضنهن من كل الجهات، تدبّ في أرجائه مشاعر الرضا والقناعة، من أصوات شقيقاتي التي لا تهدأ، ورائحة المحاصيل الطازجة التي كان يرميها والدي عصر كل يوم عند عتبة الباب، وحركة أمي جيئة وذهاباً تبثّ فيه الحياة كما تنفخ الروح في جسد جنين.

كلما أويت إلى غرفتي السوداء هنا، ينتابني شوق إلى دفء جدرانه وأرضياته، إلى ملمس خشب أبوابه وشبابيكه العتيقة، إلى حبّات النارنج تضيء عتمة باحته كما نجوم سماء صيفيّة، إلى كركرة المياه في البركة الصغيرة وسط البهو، حين تنسى والدتي الحنفية مفتوحة، وتنهض جدتي تجرجر قدميها لتقفلها جيداً وهي تلعن الكنائن المهملات.

لم نزحت؟ أبي كان مزارع قمح، ولا أدري لماذا لم يزدنا عمله الكثير إلا فقراً، وجد في الثورة مكاناً لينفّس فيه عن غلبته وجوعنا، خرج مع من خرجوا في التظاهرات، لم تمنعه أمي، كانت أشد حماسة منه. مرت أيام معدودة على التظاهرة الأولى، جاءنا زوار الليل وسحبوه أمام أعيننا، وأعادوه بعد أيام في كيس أبيض، منتفخ الجثة مقطوع الرأس والأطراف، فدفنّاه في الحال، ونزحنا.

أعمل في تنظيف البيوت، شيء يشبه الألفة نما بيني وبين أبوابها التي أقرعها كل صباح، ربما لأن كلينا مقطوع من شجرة، ربما لأني مثلها أتقن فن الانتظار بصمت على الأعتاب. تحزنني البيوت التي أقصدها، نسائم الدفء التي تسرح فيها، تداخل أصوات الأطفال والأمهات والآباء بعضها ببعض، خصوصاً عند الصباح، رائحة الغسيل والطبخ وطقطقة الملاعق في كؤوس الشاي، تذكرني كم أنا نازحة وغريبة.

مضى أربع سنوات على وجودي هنا، أظن أنها كافية لأفقد قدرتي على إيجاد الإجابات الملائمة لأسباب نزوحي، أحلم بالعودة إلى بلدي، وأحلم أيضاً بأن الآخرين الذين ذهبوا إليها قد عادوا منها إلى بلادهم. ربما أنا هنا لأنهم هناك. أتمنى لو أملك القليل من الجرأة لأنتفض بوجه من يتأفف من سماع لهجتي، ورؤية لون بشرتي، وأقول له: «إن عدتم عدنا».

© رسومات كريستال حلال

*صحافية لبنانية

شهادة

# وداعاً بيروت: حرب سوريا من خلال الزجاج

سيرين الأسير*

جرت أحداث هذه القصة في بيروت، خلال الفترة التي كانت فيها الثورة في سوريا تتحوّل بشكل مؤلم إلى حرب متعددة الجبهات تسببت بقتل أكثر من ربع مليون شخص وإجبار نصف السكان على النزوح من بيوتهم.

الحرب لم تنتهِ، لكن ذلك الزمن انتهى. والنزاع تطور من انتفاضة شعبية جميلة الى اقليمي، وبات اليوم عالميا، مع تنفيذ تنظيم الدولة الإسلامية اعتداءات دامية في باريس وكاليفورنيا وغيرها، ومشاركة روسيا الداعمة للنظام السوري في قصف مناطق سورية، الى جانب كوكبة اخرى من الدول تقصف مناطق اخرى.

لم تنجح جولات من المحادثات في جنيف في دفع البلد نحو السلام. وفيما أكتب هذه الكلمات، تنعقد جولة جديدة لا يعول عليها كثيرا. في الوقت نفسه، عشرات آلاف المدنيين المذعورين عالقون على الحدود مع تركيا ومستميتون للخروج من الاراضي السورية. الناشطون السوريون الذين لا يزالون موجودين على الارض، لا يكلفون انفسهم عناء التعليق على جهود السلام الدولية، فكل جهودهم تنصب على محاولة تسليط الضوء على المأساة الإنسانية التي آلت إليها البلاد بعد خمس سنوات من نزاع مدمر.

على الرغم من كل هذا، أحتفظ من تلك الفترة القاتمة بذكريات جميلة ومواقف عظيمة، كيف لا وهي ذكريات ومواقف بنيت على الحب! نعم الحب!

يوم غادرت بيروت برفقة خطيبي محمد غنام، لم يكن مضى على علاقتنا سوى اشهر. كان ذلك في آذار 2015. كنت أدرك أنني أغامر، لكنني كنت أشعر في قرارة ذاتي انه الصواب. كنت متيّمة بذاك الصحافي الفلسطيني السوري. كان يمثل كل ما حلمت به: بشعره الطويل، وذاك الشعاع في عينيه البنيتَين الكبيرتين، وحس فكاهة رائع، واحساس مرهف... كما كان مولعا بالسهر والاحتفال.

لم يكن لدى محمد خيار غير المغادرة.

في سوريا، سجن محمد لمدة أكثر من سنة، بينها أشهر عدة من التعذيب، وذلك بعد أن شارك في تظاهرات سلميّة ضد النظام وقام بتوثيقها. أطلِق سراحه في حزيران 2013، فاتجه مباشرة إلى لبنان حيث اعتقد -على غرار أكثر من مليون سوري آخر- بأنه قد يكون بأمان.

في منزلنا الجديد في باريس، روى لي محمد وهو يدخّن نرجيلة سورية الصنع اشتراها قبل مغادرته بيروت بأيام، اختباره في بيروت. «بدأت الأمور بشكل جيد. لم أحظَ بفرصة لاختبار بيروت من قبل، مع العلم بأنها على مسافة قصيرة في السيارة من دمشق. كنت قد سمعت الكثير عنها، وأنّها مفعمة بالألوان، وفيها الحرية والفن والموسيقى والطعام اللذيذ».

عمل غنام مع صحيفة «نيويورك تايمز». وانتقل أعز أصدقائه من دمشق إلى بيروت. معاً اختبرا بعض أجمل اماكن السهر في العالم. ولم يتطلب تأقلمهما الكثير من الوقت، فالحواجز الثقافية قليلة، والمدينة التي استضافت على مر العقود موجة تلو الاخرى من المنفيين السياسيين، تحولت هذه المرة الى مركز للناشطين والفنانين والموسيقيين والصحافيين السوريين.

وقال غنام «عشنا أوقاتاً رائعة. التقيت بأشخاص مميّزين غيّروني وساعدوني في أن أصبح الشخص الذي أنا هو عليه اليوم. ظننت أنني سأبقى مدة ثلاث سنوات على أبعد تقدير في لبنان، وأن النظام سيسقط بعدها. كنت مؤمناً بأنني سأعود إلى سوريا عاجلاً وليس آجلاً».

### - «من يرقة إلى فراشة» -

إلا أن الأحداث في سوريا اتخذت مساراً آخر، وسرعان ما انعكست على لبنان. بعد أكثر من سنة على وصوله، تلقى غنام الأمر بالمغادرة.

هو لم يكن الوحيد في اختبار علاقة حب قصيرة الأمد مع بيروت. فصديقي محمد نور الأقرع اختبر الأمر ذاته. كان ناشطا في حمص وأصبح مراسلاً صحافيا. كان في الحادية والعشرين من العمر عندما هرب من حي بابا عمرو إثر سيطرة القوات النظامية السورية عليه في أوائل العام 2012.

وصل الأقرع إلى لبنان مصدوماً، إنما سعيداً. كان قد زار البلاد مرة من قبل في العام 2008.

انتهى به الأمر أخيراً في برلين، لكن بيروت كانت طعم الحرية الأول في حياته. عن تلك الفترة من حياته، يقول من موطنه الاوروبي الجديد، «أذكر الشعور. وكأن رئتاي تضيقان بالهواء».

وجد الاقرع كذلك عملاً جيداً في بيروت مع جريدة اجنبية. واكتسب أصدقاء من كافة أنحاء العالم. من فتى صغير خجول، تحول إلى شاب واثق بنفسه. واذا اردت استعمال كلماته الاكثر تعبيرا وجمالا، فقد قال «في سوريا كنت يرقة. في بيروت أصبحت فراشة».

ثلاث سنوات بعد انطلاق الانتفاضة السورية، لم يعد لبنان المكان الاكثر ملائمة للاجئين السوريين، وبدأوا يواجهون تعقيدات ناتجة عن إجراءات جديدة فرضت عليهم. في ذلك الوقت، كان لبنان أصبح موطنًا لأعلى نسبة لاجئين في العالم مقارنة بعدد سكانه.

حتى اليوم، لا يزال مئات الاف اللاجئين يعيشون في بؤس شديد. بالكاد تصل المساعدات إلى المخيمات المؤقتة المنتشرة في كافة أنحاء البلاد. بعض الاطفال عملوا في مزارع البطاطس مقابل سبعة دولارات في اليوم، وتركوا من دون تعليم. في مخيمات مستحدثة، قاوموا الثلوج في الشتاء والجفاف في الصيف.

في المقابل، تدفق سيل من الشباب الى بيروت، مع طاقة وإبداع ورغبة في المساعدة. في الوقت ذاته كانوا يسهرون في العاصمة اللبنانية، ويتعرّفون إلى أشخاص من كل أنحاء العالم ويناقشون علنًا -ربما للمرة الأولى في حياتهم- أمورا مثل الدين والإلحاد والطائفية والسياسة.

وعزف الموسيقيون السوريون مع الفنانين اللبنانيين، ما أدى إلى انفجار إبداعيّ تمايلت على أنغامه شوارع بيروت من الحمرا إلى الجميزة.

ووقع بعضهم في الحب، وكرسوا علاقاتهم في اعراس أنشد خلالها المدعوون أغاني، لكن ايضا شعارات ثورية كانت تطلق في حمص او في حلب. في حين انفصل عشاق تحت وطأة ضغوط المنفى واثقاله.

في صيف 2014، بدأت أسمع من عدد متزايد من الأشخاص كيف لم يبقَ أمامهم سوى خيار الرحيل. غنام والأقرع كانا بين هؤلاء.

وروى غنام «حاولت الحصول على إقامة وإجازة عمل من السلطات، لكنها رفضت». وأضاف أنه تبلغ بان لا حق له بالعمل كصحافي في لبنان، لأنه فلسطيني.

مع تدفق اللاجئين السوريين الى لبنان، شددت السلطات اللبنانية اجراءاتها وعمليات التدقيق، ما جعل عملية الحصول على اذن عمل، امراً صعباً جداً. علماً ان لبنان الذي يستضيف حوالى أربعمئة ألف فلسطيني على ارضه، يمنعهم أصلاً من العمل في مجالات عديدة.

وقال غنام «شعرت بأن حياتي قد انتهت»، مشيراً إلى أن دولاً أخرى مثل تركيا ومصر والأردن رفضت أيضاً إدخاله اليها، لانه فلسطيني.

### - من حلم إلى كابوس -

الأقرع أيضاً حاول أن يجدد إقامته، دون جدوى.

وقال لي مستذكرا «كثيرون لا يفهمونني حين أقول هذا، ولكن فعلاً، مغادرة بيروت كانت أصعب علي من مغادرة حمص».

في الأشهر التي سبقت مغادرتهما، عاش الشابان في خوف دائم، ينظران بقلق إلى أي عنصر أمن يصادفانه. كانا يخشيان توقيفهما، إنما أيضاً إعادتهما قسراً إلى سوريا.

تحول حلمهما إلى كابوس غذته مشاعر الرفض ورهاب الإحتجاز، وفاقمته الجراح النفسية التي يحملانها من معاناتهما في سوريا.

واستمر ذلك حتى وصول تأشيرتيهما، بطاقتي سفرهما إلى المستقبل. الأول من آذار تاريخ لن أنساه أبداً. ركبنا الطائرة غنام وأنا إلى باريس. شعرت يومها أن هذه المغامرة الجديدة التي أنطلق بها مع من أحبّ كانت هدية مدهشةً من بيروت، المدينة التي أحبها كثيراً وأكرهها كثيراً، والتي ترعرع فيها أهلي وتركاها خلال الحرب الأهلية.

بعد بضعة أشهر، غادر الأقرع إلى ألمانيا. نحن لا نزال على اتصال. وهو يقول إنه من المبكر التكلم عن مشاعر المنفى. فقد اجتمع مجدداً مع أصدقاء سوريين آخرين موجودين في ألمانيا. لكنه يقول ضاحكاً «الشيشة في برلين أقل ثمنا منها في بيروت».

في أواخر صيف 2015؛ في ذروة أزمة اللجوء، كان يصل يومياً الآلاف من الأشخاص إلى شواطئ اليونان وإيطاليا في قوارب غير صالحة للملاحة. غالبيتهم كانت من السوريين، يليهم العراقيون والأفغان ومواطنو بلدان أخرى غارقة في انعدام الأمن وفي الفقر.

قمت في تلك الفترة بمهمتين لن أنساهما أبداً، منتدبة من وكالة فرانس برس. فقد أمضيت أسبوعين في جزيرة كوس اليونانية، ثم سلكت الطريق المعروف باسم طريق البلقان للاجئين، متعقّبة أثر زوجين عراقيين وطفلهما آدم البالغ من العمر ثلاثة أشهر، في طريقهم صعوداً نحو أوروبا الغربية.

سمعت وكتبت حينها روايات عديدة مماثلة لروايتي غنام والأقرع، مع فارق بسيط، وهو ان صديقي وخطيبي حالفهما الحظ واستطاعا السفر إلى أوروبا على متن طائرة.

اختبر العديد من اللاجئين العنف المروع والاضطهاد، ليس في سوريا فحسب، بل في العراق وأفغانستان أيضاً. أما السوريون بينهم فهم يهربون من الجميع، من كل اطراف هذه الحرب المدمرة، من الثوار والجهاديين والقوات الحكومية والقوات الكردية...

الحرب مجنونة، هذا ما علمتني إياه أمي. كان صدى كلماتها يتردد بقوة عند رؤيتي لعائلات بأكملها نائمة على شاطئ البحر في خيم رديئة، في انتظار الأذن لإكمال الطريق.

في أوروبا، رحب الكثير من الناس باللاجئين، وفهموا بصورة فطرية، أن مخاطرة هؤلاء بحياتهم وتجاوزهم الحدود تلو الأخرى للوصول إلى هنا، يعني ان لديهم سببًا وجيهًا للهرب. على الرغم من ذلك، واجه أوروبيون آخرون هذه المأساة باللامبالاة أو بالرفض، ما يضع ضمير القارة قيد الإختبار.

وعلى الرغم من مصاعب التأقلم الهائلة -مرة أخرى- في بلد جديد، لم يخسر غنام والأقرع تفاؤلهما. لديهما وظيفتان جديدتان، وهما يحققان تقدماً باهراً في تعلم لغة البلد الذي يتواجدان فيه.

أما أنا، فسعيدة جداً في حياتي الجديدة مع زوجي المستقبلي في باريس، لكنني أفكر كثيراً ببيروت. لحسن حظي، بإمكاني أن أزورها متى شئت. الكثير من السوريين الذين أحبوا المدينة بشدّة ممنوعون من دخولها.

يقول الأقرع، بنبرة ممزوجة بالمرارة والحنين، «لقد خسرنا بيروت».

يقول غنام بلهجة تحدٍّ «بيروت خسرتنا».

(نص مترجم من اللغة الإنكليزية)

* صحافية في وكالة الصحافة الفرنسية (AFP) في باريس

موسيقى

# الدرويش والراس يوقّعان «أرض السمك»...

## إعادة النظر في اللغة والهوية والحدود

**نايله راشد***

على شبكة الإنترنت، وفي خبايا بيروت، يتفجّر الغضب والثورة والحاجة إلى التجديد في الموسيقى، ولا سيما موسيقى السْلام (Slam)، والراب (Rap)، وبالتعاون بين فنانين لبنانيين وسوريين. وألبوم «أرض السمك» للدرويش، من إنتاج الراس، هو خير مثال على ذلك.

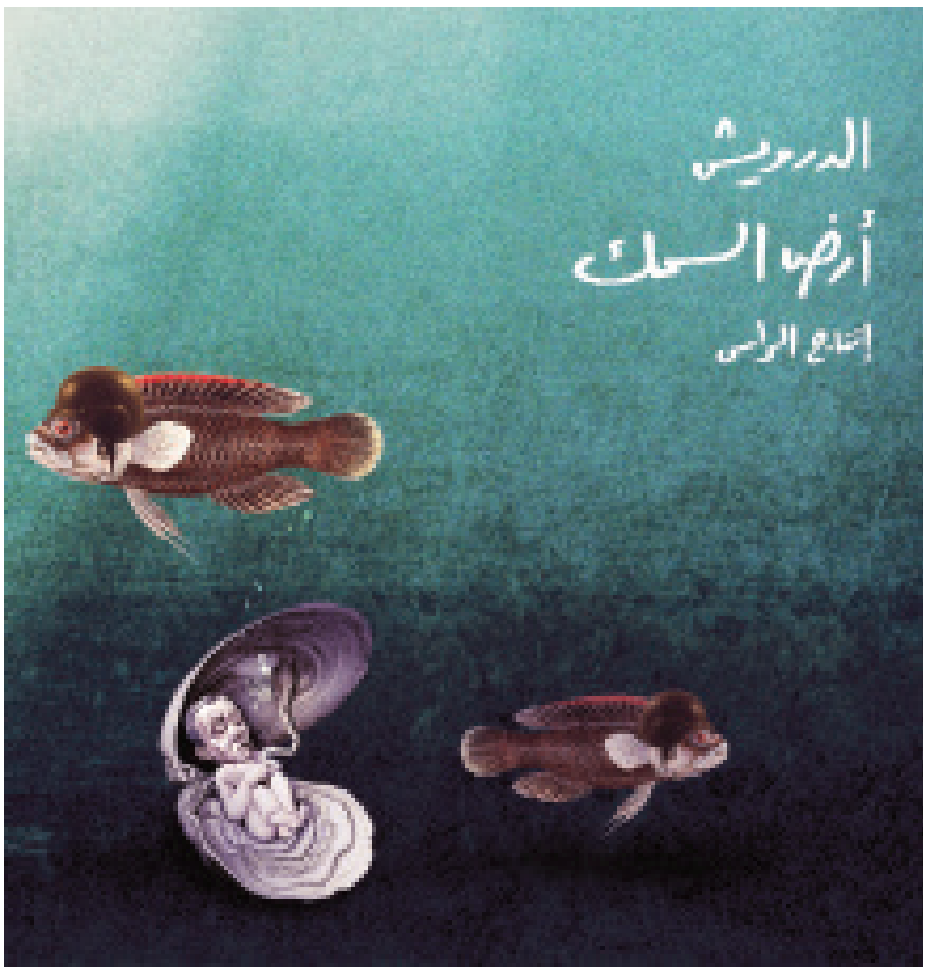


إنتقل هاني السواح، المعروف باسم الدرويش، وهو من مواليد حمص في سوريا، إلى العاصمة اللبنانية بيروت عام 2012، وهو كان قد زارها عام 2011 للمشاركة في ألبوم جماعي بعنوان «خط تالت»، جمع عدداً من مغنّي الراب من العالم العربي. حينها قام بالتحضير للقاءات والتعاون والصداقات التي مكّنته من البقاء على قيد الحياة بعد انتقاله إلى لبنان، والحصول على مكان للنوم، أقلّه في الفترة الأولى، قبل أن يعتاد على بيروت.

غير أن ذلك استغرق المزيد من الوقت؛ حيث أنه لم يرَ لبيروت أي جانب إيجابي لا بل اعتبرها مدينة سيئة وشبّهها بـ«مدينة خليجية في بلاد الشام»، نظراً لمتطلبات الحياة فيها، ونظامها الاقتصادي الذي يرجّح هذا التوجه. إنما في الواقع - كما يقول «الأشخاص هنا يشبهوننا، ولا يشبهون الأشخاص في الخليج. الشبه أقلّ في بيروت، ولكن كلما ذهبنا أكثر باتجاه الجنوب أو باتجاه الشمال، تكبر أوجه التشابه» .أوجه التشابه هذه شعر بها على الفور منذ اللقاء الأول مع مازن السيد، المعروف باسم الراس، من مواليد طرابلس. وهو تواطؤ في الهوية والثقافة والتقاليد والحياة والتساؤلات والتصوّف بأوسع معانيه. وهذا التواطؤ الانساني والمهني والخاص في آن معاً، والمبني على الارتجال والتفكير؛ يطرحه كلاهما على الفور، ولا تنفك أقوالهما الخاصة، والتي تمجمعها بشكل منفصل، تلتقي، بشكل عفوي، في العديد من المواضيع والقضايا والتساؤلات، من خلال تعاون في الأفكار والأهداف.

### نحو وحدة من نوع آخر

مسألة الهوية، الحدود، إعادة تعريف للمساحات الجغرافية، التشابه عبر الحدود، الدين، العلمانية، التوازن في قلب الميزة الخاصة التي تمثلها مدينة بيروت، وهي «جزيرة الممكنات في بيئة متفجرة»، المسؤولية الفنية، فشل حقبة أثبتت عجزها، الحاجة إلى إعادة تجديد في العالم العربي مرتبطة حتماً باللغة... لا ينفك الحوار مع الدرويش والراس يتشابك في التزامهما الإجتماعي والسياسي والفني.

يعكس ألبوم «أرض السمك»، بحكم عنوانه، هذا الكائن المنفي من بيئته، أي السمكة التي تذكرنا بذاكرتنا الجد ضعيفة والتي لا تلبث أن تكرر الأخطاء ذاتها، من دون حتى الإنتباه إلى ذلك. وفي حين يقدم الدرويش الألبوم على أنّه ديوان أو كتيّب يحتوي على أفكار مكتوبة بصيغة نصوص تكملها موسيقى الراس، ويتردد حتى في استخدام كلمة الراب، نظراً لكافة القوالب النمطية التي تلتصق بها، إلا أنه يصرّ على خصوصية هذا «الراب العربي» الذي هو قيد الإنشاء منذ 5 إلى 6 سنوات، ويشكل تطوراً منطقياً وطبيعياً للّغة، هذه اللغة العربية التي هي إحدى الناقلات الأساسية للهوية، كما يؤكد الراس.

وتستمر الأفكار بالتداخل، أبعد مما يمكن للناس أن ينتظروا أو يتأملوا من هذا التعاون. وهكذا يؤكد الدرويش على الفور تعجّبه في كل مرة يسألونه فيها عمّا إذا كان هذا التعاون يساهم في تطوير العلاقات اللبنانية-السورية. ويقول: «عن أي علاقات نتكلّم أصلًا؟»، «الوصاية السورية والنظام السوري وحلفاؤه اللبنانيون؟»، ويعلن أنه من الذين يؤمنون بأن وضع الحدود بين بلد وآخر على مرّ 60 سنة لا يخلق مجتمعين مدنيّين منفصلين، أفهناك محاولة لخلق مفهوم جديد للوحدة على الجبهة ذاتها، ولأن يكون لنا عدو مشترك... ويتابع: «أنا أرى ذلك على أنه إمتداد شبابي في أنحاء العالم العربي كافة. ثمة مجتمع يُبنى على مفهوم الوحدة، غير أنه معاصر وجديد ويشبهنا ويشبه ما نريده».

وتعتري الإبتسامة ذاتها ملامح الراس الذي يشير إلى أن «هذا العمل المشترك ليس مبنياً على ترسيم دقيق للهوية». أن تكون لبنانياً أو سورياً هي مسألة مفتوحة، وهي «ورقة بيضاء» تشكل في الوقت ذاته نقطة انطلاق، وأرضاً للعمل تُكتَب عليها الأفكار التي يتم تبادلها بالكلمات والموسيقى، لكي نشعر ربما، يوماً ما، بأن هذه الأفكار تخدم لبناء مقاربة للهوية «تناسبنا، لأن الموجود «في السوق» حالياً ليس لنا».

(نص مترجم من اللغة الفرنسية)

* صحافية لبنانية

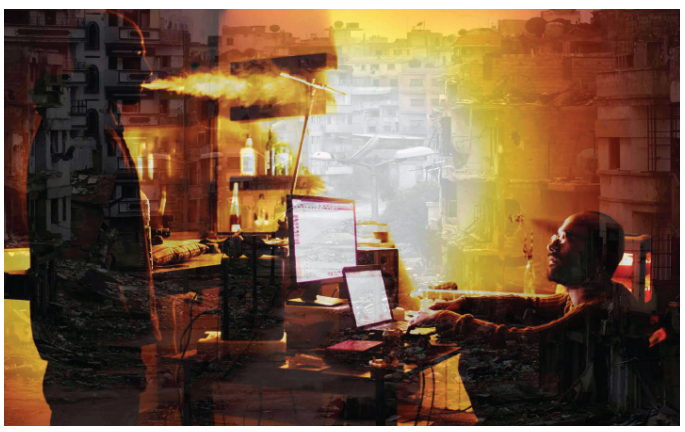

رسم

# فنانو دمشق وجدوا في بيروت ملاذاً ومنطلقاً... والحرب انعكست في أعمالهم

## للريشةِ السورية... وزنٌ في لبنان!

ريتا الحاج*

إذا كان ملايين السوريين تركوا بيوتهم هرباً من الحرب التي تعصف ببلدهم منذ نحو خمس سنوات، ونزحوا في كل الاتجاهات حاملين أمتعتهم وأوجاع التهجير والتشرّد، فإن الفنانين التشكيليين السوريين حملوا لوحاتهم وعِدّة الرسم، واستقرّوا هنا وهناك في أنحاء العالم، لكنّهم وجدوا في لبنان، القريب منهم جغرافياً وثقافياً، ملاذاً آمناً، ومنطلقاً مثالياً لإبراز أعمالهم.

ولئن كان ثمن الحرب في سوريا ثقيلاً على جميع السوريين، بمن فيهم الفنانون التشكيليون، فإن بيروت النابضة فنياً أكسبت الريشة السورية وزناً أكبر، ووفّرت لحامليها فرصة الوصول إلى فضاءات أوسع خارج حدود بلدهم الجريح.

بالفعل، شهد لبنان حركة تشكيلية سورية كثيفة منذ اندلاع الإضطرابات في سوريا عام 2011، بسبب نزوح الفنانين من دمشق وحلب الى بيروت، وغياب الحركة الفنية في سوريا. واحتضنت بعض صالات بيروت وصالتان سوريتان عاملتان فيها، نشاط الفنانين السوريين في العاصمة اللبنانية.

### اهتمام لبناني بالفنانين السوريين

في الواقع، كانت بيروت دائماً محطة مهمة للفنانين التشكيليين السوريين، لكنّ هذا الإهتمام تعاظم منذ اندلاع الإضطرابات. وفيما تشكّل «غاليري أيام»، التي يتركز نشاطها راهناً في فروعها في بيروت ودبي، بعدما أقفلت أبوابها في «عاصمة الأمويين»، محور استقطاب لكثير من الفنانين السوريين، تلاحظ مديرتها في بيروت رانيا منذر أن «الصالات اللبنانية تسابقت لاستقطاب الفنانين السوريين في بداية الأزمة، أما الآن فتراجع الاهتمام نسبياً».

وتشير الفنانة التشكيلية العراقية ليلى كبا التي استقرت في لبنان في العام 2006، وهي صاحبة غاليري «آرت سبايس» في بيروت، إلى أن في العاصمة اللبنانية راهناً تركيزاً على الفنانين السوريين. وتقول في هذا الصدد: «يزورني يومياً في الغاليري فنانون يلجأون من سوريا إلى لبنان، والأمر نفسه نلاحظه مع الفنانين العراقيين الذين يبحثون عن منبر ليعرضوا أعمالهم».

أما مارك هاشم، صاحب غاليري «مارك هاشم»، والذي بدأ يهتم بالفنانين التشكيليين السوريين في العام 2004، فيشير إلى أن أعمال الفنانين السوريين «أصبحت تثير اهتمام كبار هواة جمع اللوحات».

من السويداء حمل الفنان التشكيلي شادي أبو سعدى (32 عاماً) مجموعة من لوحاته، وحطّ في بيروت في العام 2011. وفي لبنان، شارك خريج قسم الرسم والتصوير في جامعة دمشق، في معارض جماعية ومعرضين منفردين في العاصمة اللبنانية. يقول: «لبنان أقرب بلد الى الجو السوري على صعيد اللغة والموقع الجغرافي، بطبيعته وجباله ووديانه. هذا الجو ملائم لي أكثر من أي مكان آخر».

أما الفنان التشكيلي طارق بطيحي (33 عاماً) فاستقر في بيروت أيضاً منذ العام 2012 «بسبب الظروف». وأقام بطيحي معارض جماعية عدة ومعرضين منفردين في العاصمة اللبنانية.

### منصّة للإنطلاق

ويقول بطيحي إن «ظروف الحروب تفجّر المواهب. فثمة فنانون كانوا غير معروفين في سوريا وانطلقوا خارجها».

وتشير منذر إلى أن بين الرسامين الذين انتقلوا إلى بيروت من سافر إلى دبي أو إلى ألمانيا وهولندا. والفنانون السوريون المتعاقدون مع «غاليري أيام» الذين جاؤوا إلى لبنان، بعضهم غادره كنهاد الترك الذي سافر بدعم من منظمة الأمم المتحدة الى لندن، وأسامة دياب الذي استقر في هولندا قبل بضعة أشهر، في حين ذهب آخرون إلى الخليج وأوروبا، فيما بقي عدد من الفنانين، كعبد الكريم مجدل بك وقيس سلمان، في بيروت.

ويجد الفنان التشكيلي السوري مساحة للتعبير ومنصة للانطلاق في العاصمة اللبنانية التي تغلي ثقافياً وفنياً، وتزدحم فيها المعارض والأنشطة الفنية والثقافية. ويقول أبو سعدى: «هنا الغاليريات تهتم أكثر بالفنان التشكيلي. في سوريا عدد صالات العرض محدود ويعرضون لأشخاص معيّنين. هنا الاهتمام اكبر».

ويؤيده بطيحي قائلاً: «الغاليريات عددها قليل في سوريا، ويواجه الفنان صعوبات في العرض، والانتشار يستغرق وقتاً اكثر من بيروت. وشخصياً أحظى بتشجيع من إدارات صالات العرض هنا وفي الكويت ودبي».

### الحرب... في اللوحات

وينعكس الوضع السياسي في سوريا، وحالة اللجوء الاجتماعية، والاحباط النفسي الذي أفرزته المحنة، على أعمال الفنانين التشكيليّين الشباب والمخضرمين. وتشهد الحركة التشكيلية السورية حالياً نضجاً وتنوّعاً في المدارس والأساليب والتقنيات، ممّا ساعدها على ترسيخ تميزها، بحسب الخبراء.

ويعتبر مارك هاشم أن الحرب في سوريا «أبرزت قوة التعبير لدى فنانيها بطريقة سهلة ولغة جميلة»، ويلاحظ أن في لوحات هؤلاء «معاناة وإحباطاً وحزناً». ويرى في ذلك «نهضة فنية عربية يساهم فيها الفنان السوري بشكل كبير».

وثمة فوارق دقيقة يمكن ملاحظتها في لوحات زيتية لفنان واحد ما قبل الأزمة في سوريا وخلالها.

ويقول أبو سعدى: «الفنان لا يستطيع أن يكذب. ينبغي أن يكون صادقاً في لوحته». ويضيف: «منذ تخرجي في العام 2008، أعمل على الظلال. في بداياتي كان الظل رمادياً أما الآن فأصبح أبيض، والأشخاص بالأسود». ويصف لوحاته قائلاً: «فيها فرح وحزن، وتنقل المشهد اليومي الذي نراه في الشارع».

ومنذ تخرجه في العام 2005، عمل طارق بطيحي على موضوع المرأة، لكنّ معظم ما يرسمه الآن يدور في أجواء الحرب. ويرى أن بيروت تشكّل أرضية خصبة لعمله إذ أن «فيها قدراً كبيراً من الحركة والانفتاح».

© فضل عيتاني

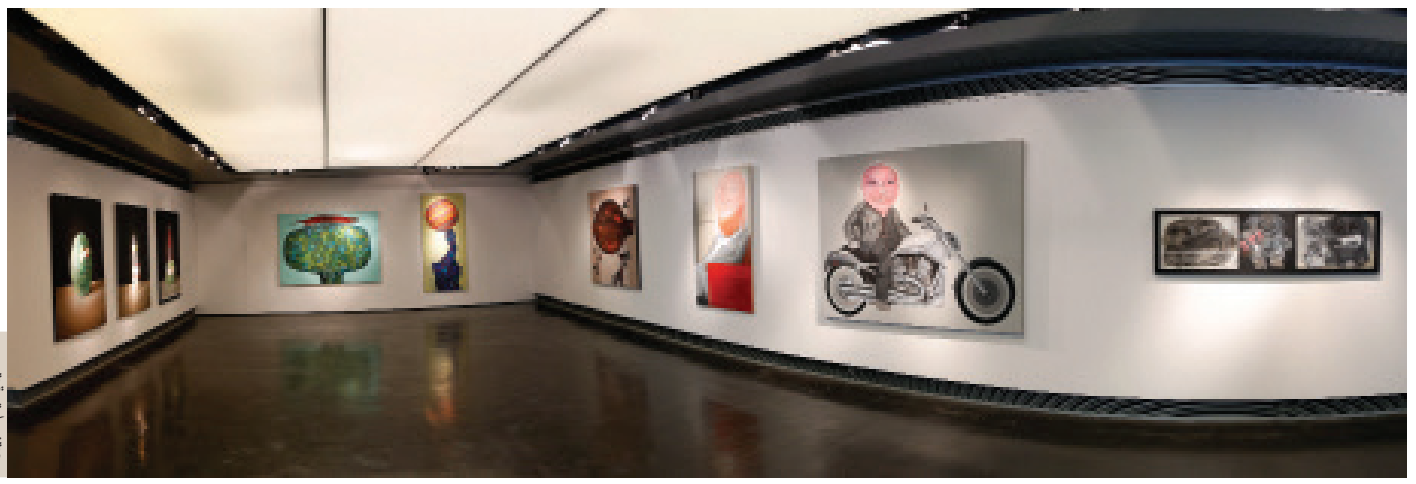
© غاليري أيام - بيروت

© من صفحة الرسام التشكيلي السوري طارق بطيحي

# تجربتي كفنانة سورية في لبنان وتأثير المجتمع اللبناني بالفن الذي أقدمه

**إيمان نوايا***

قدِمتُ إلى بيروت منذ أكثر من سنتين، وحتى الآن فني متعطّش لِنَفَس هذا البلد، وحياتي الفنية قصة عشق.

أنا فنانة تشكيلية سورية، تخرَّجت عام 2012 وكلّي حماسة بأن يكون لي مرسم صغير في دمشق القديمة، ولم تسنح لي الفرصة لتحقيقه بشكل من الأشكال، فلم يكن أمام ناظريَّ بديل سوى بيروت، بيروت جبران ودرويش وعقل؛ لذا جئت وأنا جاهزة لاستقبال نفسي فيها، وهي لم تخيّبني بل استقبلتني برحابة صدرها وأنا أحمل عنواني الأنثوي في فني، فدراستي عن الأنثى ومكوِّناتها، وعن علاقتها بالشريك الآخر، وعلاقة الجنسين بعضهما ببعض طوال أربع سنوات، لم يُشبع هاجسي بعد.

وما لاشك فيه، أن خليط هذا المجتمع وعلاقاته كفيلان بأن يلهماني بما يكفي، ويشكّلا إضافة جديدة لموضوعي الفني، وكذلك كان مُناخ هذه المدينة عاملاً مساعداً على تطوير التكنيك الفني لديَّ لأن لوني عاشق للبحر، وتشكيلي هائم بسماء بيروت.

لم يكن من الصعب كثيراً أن يُطرح فني في هذه المدينة، ويكون له وجه القبول، ويُحاط كمشروع مؤثر ومتأثر بمجتمعها حيث كان للفتاة اللبنانية حصة من خطوطي وتكويناتي، وهذا كله اجتمع وشكَّل لي معرضي الفردي الذي كان بجدارة مستوحى من هواء هذا المكان، وكان أيضاً محاكياً له ولعلاقة أفراده به.

قد يتبادر إلى ذهن البعض أنني كما الكثير من الفنانين الذين عكفوا على موضوع الحرب والدمار، الذي أضنى بلادي، ولكنني في الواقع ما زلت أعمل على موضوع العلاقات ومحتوياتها إيماناً مني بأن إحياءها وإضاءتها إما لتكريسها أو لانتقادها وتماهيها مع المكان والوجود، قد يجعلاننا نتفادى كثيراً من الحروب والنزاعات، ونخرج من الدمار لبناء وإحياء نتاج حقيقي متماسك منشأهُ الشراكة والوجود من دون صراع أو تناحر؛ عدا عن أنني فضَّلتُ ترك المساحة لشركائي الفنانين للعمل على موضوع الحرب، وتسليط الضوء عليه بطريقتهم، من دون أن أُزاحمهم، وخوفاً من أن يصل إلى حد الاستهلاك ليس إلّا، فلا وطني ولا أفراده ولا آلامهم هي موضوع استهلاك أو مُتاجرة.

...وتبقى بيروت هي منهلي الآن ومنهل معظم من سبقني إليها.

* فنانة تشكيلية سورية

© لوحة بريشة الرسامة إيمان نوايا من مجموعة ومضات أنثوية، بيروت 2016

وصولاً إلى اليوم.

وتقول منذر في هذا الصدد: «نهاد الترك مثلاً، كان يستخدم الألوان القاتمة خلال وجوده في سوريا، وباتت أجواء لوحاته ملونة حين انتقل إلى بيروت». وترى أن «السنة الأولى في بيروت كانت صعبة على الفنانين السوريين، وأثّر ذلك على عملهم. فالبعض أبدع، والبعض الآخر ارتبك وشعر أنه امام حائط مسدود، ولم يستطع أن يقوم بخطوة تالية، أو أخذ وقتاً أطول ليتأقلم وينطلق بفكرة جديدة أو معرض جديد. كل فنان يتعاطى مع الوضع بشكل خاص به».

وبحسب منذر، كل رسام له قصته وتجربته. فالرسام الشاب عبد الكريم مجدل بك أعد لوحة كبيرة عنوانها «سوريا مشتعلة»، وفيها رموز كالسكاكين، ونفذها بأقمشة من خيم الجنود عرضها خمسة أمتار.

ويرى أبو سعدى أن ثمة نقاطاً مشتركة بين الفنان التشكيلي السوري والفنان التشكيلي اللبناني «إذ أننا نعيش تقريباً في جو واحد لكن اللبناني منفتح أكثر على الغرب، أما نحن فميّالون أكثر ربما إلى ثقافتنا الشرقية».

غير أن الفنانين السوريين، رغم أهمية التجربة التي يعيشونها، توّاقون للعودة إلى وطنهم عندما يستعيد استقراره. ويقول أبو سعدى: «سوريا بلدي ولا أستغني عنها». أما بطيحي فيقول: «أعود طبعاً إلى وطني، وتصبح بيروت مكان إقامة ثانياً لي. هي الشام الثانية. نترك بيروت لكننا نشتاق إليها».

* مراسلة وكالة الصحافة الفرنسية (AFP) في بيروت

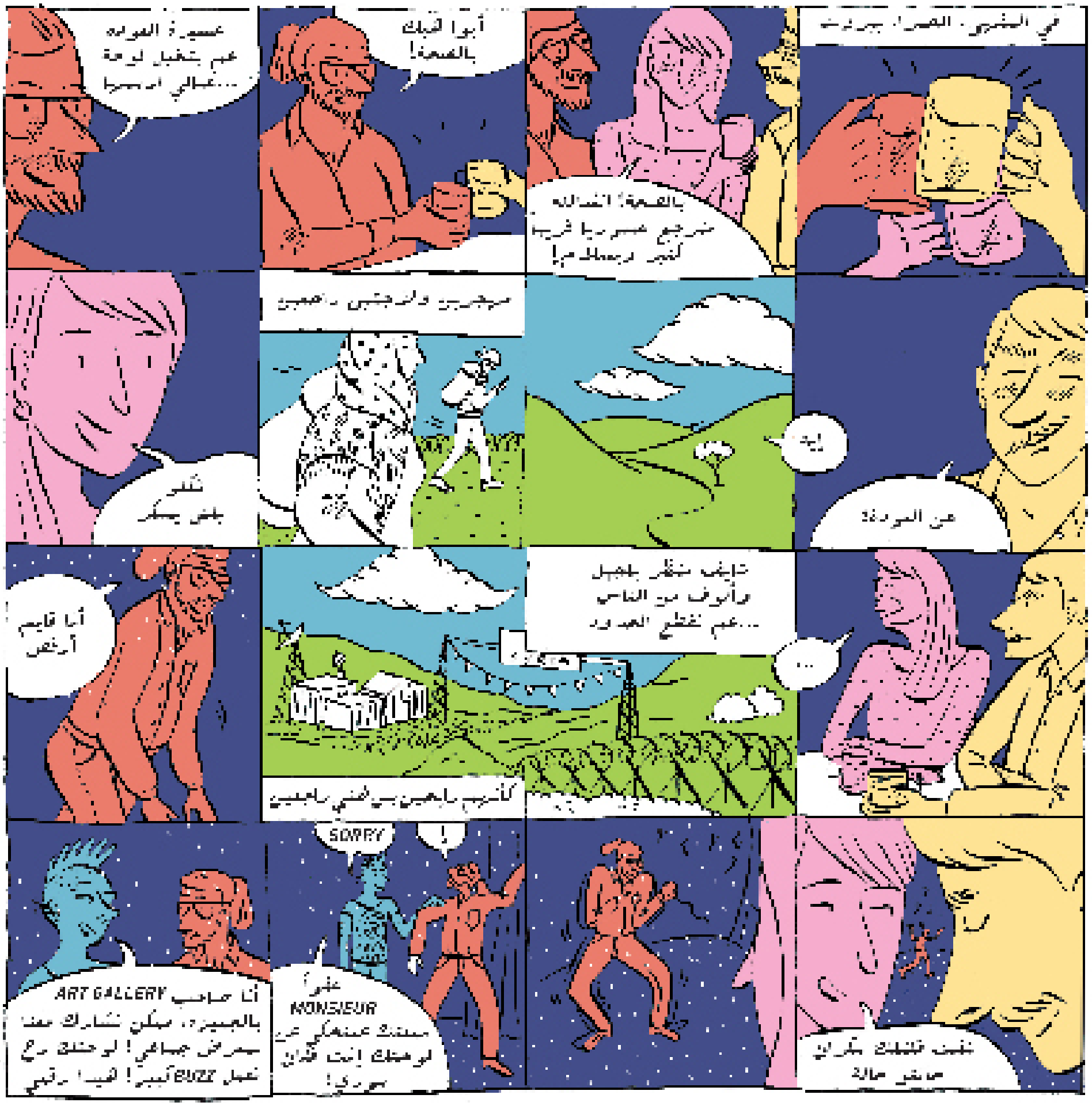


قصة مصوّرة لجوزيف قاعي

يعمل مشروع «بناء السلام في لبنان» التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي منذ العام 2007 على تعزيز التفاهم المتبادل والتماسك الإجتماعي بطريقة تشاركيّة مع الشباب والمدرسين ووسائل الإعلام والمنظمات غير الحكومية، بالإضافة إلى المجالس البلدية والإختيارية والقيادات المحلية. واستجابة لإنعكاسات أثر الأزمة السورية على المجتمعات اللبنانية المضيفة ومن أجل تخفيف حدّة التوترات المتزايدة حديثاً في البلاد، يعمل المشروع على تعزيز قدرات مختلف فئات المجتمع من قيادات محلية ومدرسين وإعلاميين ومجتمع مدني، على إدارة هذه الأزمة وبناء السلام والتعامل اللاعنفي مع النزاعات ومساندتهم من أجل تطوير إستراتيجيات بناء سلام متوسطة وطويلة الأمد.

يعتبر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي شبكة التنمية العالمية التابعة للأمم المتحدة وهو يدعو إلى التغيير وإلى تحقيق نفاذ البلدان إلى المعرفة والخبرة والموارد من أجل مساعدة الشعوب على التمتع بحياة أفضل.

**لمزيد من المعلومات**
**مشروع «بناء السلام في لبنان» التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي،**
**مبنى البنك العربي**
**شارع رياض الصلح - النجمة، بيروت - لبنان،**
**هاتف: 980583 - 01 / 119160 - 70**
www.lb.undp.org/PBSupplement
UNDP Lebanon

تصميم وتنفيذ: عمر حرقوص، حسّان يوسف
خط: بناء السلام خليل ماجد
تدقيق لغوي: جميل نعمة